الفصل الثالث عشر

حركة الشيخ سعيد بيران 1925م
دور الشريعة والفكر القومي

إنّ الحركة التي قادها الشيخ سعيد بالو المعروف أيضاً بـ«بيران» في الفترة من شباط إلى نيسان عام 1925، هزّت النظام الكمالي في تركيا، وتركت آثارها العميقة في الحياة السياسية التركية، بشكل عام والحركة الكردية بشكل خاص.

شهدت الثمانينيات والتسعينيات، من القرن العشرين، ظهور العديد من الدراسات حول حركة الشيخ سعيد؛ ويعود هذا الاهتمام المتجدد بالشيخ سعيد، حسب رأي الكاتب إلى عاملين؛ أولهما: النمو المتصاعد خلال هذه الفترة للمقاومة القومية الكردية، المسلحة في كردستان ـ تركيا، وثانيهما: هو اشتداد ساعد الحركة الإسلامية في تركيا. علماً أنّ حركة الشيخ سعيد تحتوي على جذور كلّ من الحركة القومية الكردية والحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا.

هناك مدرستان مختلفتان ـ وإلى حدٍ ما ـ متناقضتان في تحليل العوامل المؤثرة في حركة الشيخ سعيد. فيما ذهبت الأولى إلى القول: بأنّها كانت حركة قومية استخدمت الدين للوصول إلى أهدافها، تذهب الأخرى إلى القول: بكونها حركة دينية استخدمت الظلم الواقع على الكرد لتحفيزهم لمعارضة حكومة مصطفى كمال اللادينية. هذه الدراسة محاولة لشرح هذه الإشكالية التي تحيط بالأسباب المباشرة وغير المباشرة لحركة الشيخ سعيد؛ وسيتطرق الكاتب

أيضاً إلى بعض الجوانب الغامضة الأخرى للموضوع، منها: الادعاء القائل بوجود ارتباط بين حركة الشيخ سعيد، والإدارة الإنجليزية في العراق.

أحداث الثورة

يروي لنا زنار سلوبي (قدري جميل باشا) أحد معاصري الشيخ سعيد ومن دعاة الفكر القومي الكردي، القصة الآتية حول كيفية انطلاق الثورة:

«بعد سفر الشيخ سعيد إلى قرية بيران، أراد رئيس قسم الجندرمة (الشرطة العثمانية ـ الكاتب) اعتقال عدد من الأشخاص المرافقين له، ودون أيّ اعتبار لمكانة ومقام الشيخ سعيد الذي تدخّل وترجّى رئيس الجندرمة للتراجع عن عزمه.

حاول الأخير تنفيذ الاعتقال بالقوة، وإثر ذلك حصل اصطدام مسلح في 5 شباط 1925 بين الجندرمة وشقيق الشيخ سعيد، الشيخ عبد الرحمن ورفاقه، الذين قتلوا أحد الجندرمة وأصابوا اثنين آخرين منهم بجراح، ولعدم اقتناع الشيخ سعيد بإشعال الانتفاضة آنئذ، لعدم التحضير المسبق لها، ترك بيران مباشرة لتأخذ تلك الأحداث طابعاً محلياً، ولا تنتشر في المناطق الأخرى، لكنّه اصطدم بالحالة النفسية الهائجة لدى الكرد... وكانت شرارة الانتفاضة قد انتشرت بسرعة فائقة في ليجة، جبق جور، وحينما شاهد الشيخ سعيد الوضع وتطوراته السريعة، قال: (يبدو أنّ هذا هو قدرنا)، وشرع بتبنّي الانتفاضة وتولّي قيادتها. وفي 24 شباط احتل الثائرون مركز ولاية غينج (بنجول ـ الكاتب)[1].

وبعد أن سيطر المجاهدون الكرد (هكذا سماهم الشيخ سعيد ـ الكاتب) على غينج جرى أسر موظفي الإدارة التركية وهرب الجندرمة، وجرى تعيين إدارة كردية في غنج، حيث أصبح فقي حسان (وهو عالم دين) محافظاً لغنج وأصدر مجموعة من القوانين الاستثنائية، ألغى بها الكثير من الضرائب المجحفة التي سبق أن أثقلت كاهل الناس[2].

---

(1) **في سبيل كردستان: مذكرات**، بيروت، دار الكتاب، 1987، ص 106-107.

(2) م. حسرتيان. **كردستان تركيا بين الحربين**، ترجمة سعد الدين ملا، (بيروت، دار الكاتب) 1987 ص 57.

ومن ولاية غينج انتقلت الثورة إلى الولايات الكردية الأخرى، حيث استطاع المجاهدون السيطرة على قضاء خربوط (مدينة العزيز) في ولاية أرضروم، لفترة قصيرة وامتد لهيب الثورة جنوباً إلى ماردين وديار بكر وقضاء جميتك كزك في ملاطية غرباً. ووصلت الثورة ذروتها حين حاول 5 آلاف مجاهد الهجوم على مدينة ديار بكر، واتخاذها عاصمة للإدارة الكردية بقيادة الشيخ سعيد.

ولكن هذا الهجوم فشل لأسباب عدّة منها: الاستعدادات التي اتخذتها الحكومة داخل المدينة لردع الثوار، وعدم وجود تنسيق مسبق بين الثوار والأهالي، وكذلك عدم استناد خطة الهجوم إلى أسس عسكرية حديثة.

إنّ سرعة انتشار الثورة في الولايات الكردية تعود إلى عوامل عدّة، منها: حالة التذمر وعدم الرضا بين الكرد عن سياسة الحكومة المركزية، خاصة سياسة التتريك والمركزية المفرطة التي بدأ مصطفى كمال يفرضها على المنطقة الكردية. كما أنّ الحكومة الكمالية حاولت ضرب مصالح القيادة الكردية التقليدية (الشيوخ والإقطاع) وتجاهلتهم في إدارة المنطقة. أضف إلى كلّ ذلك كانت الجماهير الكردية مستاءة جداً من قيام مصطفى كمال بإلغاء الخلافة والشريعة، وبدأت الحكومة المركزية تفقد شرعيتها في نظر المسلمين الكرد، المرتبطين بالخلافة والشريعة[3].

وأخيراً إنّ سرعة الأحداث العفوية، وجماهيرية الحركة الصوفية النقشبندية داخل المنطقة، ووجود فكرة الجهاد والقائد المجاهد (المنقذ) والتكايا العديدة التي كانت تتحرك على نطاق كردستان، وفّرت آلية التحرك السريع التي لم تستطع الإدارة التركية الضعيفة الوقوف ضدها[4].

اتخذت حكومة أنقرة إجراءات عديدة، عاجلة وجديّة لمجابهة حركة الشيخ سعيد. ففي 23 شباط وضعت المنطقة الكردية كاملة تحت الأحكام

(3) Robert Olson The Emergence of the Kurdish Nationalist Movement and Sheikh Said Rebellion (Austin: Texas Univ. Press, 1989, pp. 34-44.

(4) Martin Van Bruinessen Agha, Shaikh and state, Utrecht, 1979, p. 385.

العرفية. كما قام مصطفى كمال بعزل فتحي أقيار (رئيس الوزراء) الذي اتهمه بالضعف، وطلب إلى عصمت أينونو أن يقود الحكومة الجديدة، ويعلن مجموعة من الإجراءات المعروفة بـ(تقرير السكون) وأصبحت مدينة آدنة في الشرق مركزاً لتجمع القوات التركية التي أرسلت من جنوب ووسط تركيا لقمع الانتفاضة في كردستان. كما سمحت السلطات الفرنسية في سورية للحكومة التركية بنقل عدّة آلاف من الجنود، عبر خط سكك الحديد الذي كان يمرّ من داخل الأراضي السورية، وذلك لمحاصرة الثوار، ثم مهاجمتهم من الخلف. وفي 27 آذار وبعد أن جمعت قوات الفيلقين الخامس والثامن في آدنة وأرزنجان، وبعد أن تحسّنت الظروف المناخية، شنّت القوات الحكومية هجوماً واسع النطاق من الجنوب والشمال والشرق، واستطاعت أن تحاصر قطعات المجاهدين التي كانت في المناطق السهلية، وسرعان ما تبيّن للشيخ سعيد أنّ ليس هناك تكافؤ بين قواته وقوات الحكومة، من حيث العدّة والعتاد. وهذا ما أجبره على سحب قواته إلى المناطق الجبلية، في ولاية غنج والاحتماء بها.

لذلك أصبحت الثورة محصورة بوادي فرات صو وهذا ما سهّل للحكومة تركيز معظم قواتها على المنطقة، ومحاصرة الثوار فيها، ولكن استمرّت المعارك الكبيرة بين المجاهدين والحكومة إلى 14 نيسان حيث وقع الشيخ سعيد أسيراً بيد القوات الحكومية على جسر جهاربور وذلك نتيجة خيانة قاسم بك جبرانلي الذي كان عديل الشيخ سعيد، ومقدّماً في الجيش سابقاً، ومن القوميين الكرد الذي حاز ثقة الشيخ سعيد، وكان مع الثورة منذ البداية[5]. إنّ وقوع الشيخ سعيد أسيراً أثّر بشكل جدّي في معنويات المجاهدين تأثيراً كبيراً، حيث بدأت القوات الحكومية تحتل مركز غنج وليجة وبالو وبيران، ولكن ذلك لم يعن نهاية الثورة، إذ استمر المجاهدون في التصدّي للقوات الكمالية في الريف حتّى 1928. إنّ أسر الشيخ سعيد نقل المقاومة من حرب الجبهات التقليدية إلى حرب العصابات. وبعد أن استطاع المجاهدون احتواء الهجوم الحكومي المكثّف بدأوا بتنظيم أنفسهم على شكل كتائب سميت بـ (الوحدات القتالية ـ جتا).

(5) F O 371/10867 Teleg. No2497, 27 April 1925. Lindsay to A. Chamberlain.

واستطاعت هذه الوحدات القتالية شنّ عمليات عسكرية، تميّزت بالكرّ والفرّ، انتشرت في البداية في منطقة مودكي ساسون، خنيس، فارتو، موش، سوليهان، جبق جور، غنج، وليجة[6]، وكما استطاع السيد عبدالله النهري (ابن الشهيد سيد عبدالقادر ابن الشيخ عبيد الله) الذي أعدم والده، نقل المقاومة إلى منطقة هيكاري، وبدأ المجاهدون بفرض وجودهم على الحدود العراقية ـ التركية ـ الإيرانية[7].

وبرز هاجو بيك زعيم عشيرة هافرنكي قائداً للمجاهدين العاملين في منطقة الحدود التركية السورية. وكان هاجو بيك ناجحاً في قيادة العشائر الكردية في منطقة نصيبين، وكانت الحكومة التركية قلقة جداً من نشاطاته، وطلبت إلى السلطات الإنكليزية والفرنسية، في العراق وسورية، دعم جهودها لقمعه، ويبدو أنّ هاجو بيك كان يفكر في توسيع نطاق المقاومة، وأخذ زمام القيادة. ففي رسالة منه إلى أمين بيك الراوندوزي والمؤرخة بتاريخ 26 حزيران 1926 طلب هاجو إلى قادة الكرد في راوندوز تأييده وكما طلب إليهم الاتصال بسمكو في كردستان إيران لدعم مشروعه، لتوسيع رقعة الجهاد لتشمل كردستان تركيا كلها، كما طلب هاجو إلى الشيخ أحمد بارزان دعم جهوده ففي الرسالة المذكورة يقدر هاجو عدد المجاهدين العاملين تحت إمرته بـ500 مجاهد؛ ويشير إلى الاستعدادات الجارية لإعداد 10 آلاف مجاهد، ويضيف هاجو أنّ محمود إبراهيم الملي (ابن القائد الكردي الشهيد إبراهيم باشا الملي) الساكن في رأس العين في قضاء مدياد، قد وعده بدعم الجهاد وتزويده بـ1500 مقاتل. أضف إلى ذلك أنّه في عام 1926 كان هناك 550 مجاهداً من الكرد زازا يقودهم الشيخان عبدالرحيم وطاهر (أخوا الشيخ سعيد). ويبدي المجاهدون في هذه الوثيقة التاريخية (رسالة هاجو) استعدادهم لإدامة الجهاد، ولكنهم أيضاً يشكون من قلة السلاح[8].

وكان هاجو بيك يعلّق الآمال الكبيرة على جهود الشيخ مهدي (أخو

---

(6) Air 23/411 Secret No. 1618. Baghdad 22 July 1926.

(7) F.O. 371/10867 No. 576 July 1925.

(8) المرجع السابق.

الشيخ سعيد) الذي تسلّل إلى داخل الحدود العراقية، وسلّم نفسه للسلطات البريطانية. حاول الشيخ مهدي كسب تأييد الإنجليز، ودعمهم للثورة الكردية، ضدّ مصطفى كمال. ولكن الإنجليز طلبوا إليه تجميد كافة نشاطاته السياسية وعدم استعمال الحدود العراقية منطلقاً للتحرّك ضدّ الحكومة التركية.

ولكن استطاع الشيخ مهدي التسلل سراً عبر سنجار إلى داخل كردستان ـ تركيا، وبدأ التحرك مع المجاهدين العاملين على الحدود التركية ـ السورية، وفي رسالته المؤرخة في 31 حزيران 1926، والموجهة إلى أمين بيك الراواندوزي يعطي الشيخ مهدي تفاصيل كثيرة عن العمليات الجهادية، المكثفة في المنطقة، حيث يقول: «إنّ الوحدات الكردية المقاتلة مهيمنة على الريف الكردي الذي يصفه بـ(كردستان المستقلة)[9].

واستمرت العمليات الجهادية إلى بداية عام 1928. ولكن مع عام 1928 أصبح تحرّك المجاهدين أمراً عسيراً للغاية، وذلك لأسباب عديدة، منها: بطش القوات الحكومية الكمالية بالقرى التي كانت تدعم المجاهدين بطشاً كبيراً، واستعمال سياسة الأرض المحروقة، بحيث كانت المصادرات تمتد إلى ممتلكات الفلاحين المنقولة وغير المنقولة، وحرق المحاصيل الزراعية، ومصادرة المواشي، وسياسة إفراغ المنطقة.

وكما حُرم المجاهدون من أيّ دعم خارجي فلم يصلهم أيّ دعم من سمكو والكرد في راوندوز. ومما زاد الأمر صعوبة توقيع العراق وإيران وتركيا في عام 1926 اتفاقيات التعاون وحسن الجوار. وكانت هذه الاتفاقيات نتيجة المبادرات الإنجليزية، ووجهت معظم بنودها ضدّ الثوار الكرد. ونتيجة لهذه الظروف القاسية من الحصار الداخلي والخارجي واضطرار العديد من قادة الكرد إلى الاستجابة لقرار العفو الذي أصدرته الحكومة في عام 1927م[10]، انتهت صفحة من المقاومة الكردية لتبدأ صفحة أخرى بعد ستة أشهر فقط، على جبهات أخرى، بقيادة الجنرال إحسان نوري باشا.

---

(9) المرجع السابق.

(10) Olson, p. 152.

أسباب فشل الانتفاضة

إنّ فشل حركة الشيخ سعيد في تحقيق أهدافها رغم مكاسبها الجدية في البداية يعود إلى أسباب ذاتية وموضوعية. ويقصد بالعامل الذاتي تركيبة الحركة، من حيث القيادة والقاعدة، وأسلوب إدارة الحرب. ويعزو البعض فشل الحركة إلى اندلاعها قبيل أوانها، أي أنّ الثمرة قطفت قبل أن تنضج، فغلب عليها طابع العفوية، وكان الكثير من تصرفات المجاهدين وحركاتهم ردود أفعال للظروف المستجدة التي أوجدتها انطلاقة الحركة في الظروف غير المواتية. ولم تكن القيادة في مستوى الأحداث على الرغم من أنّ الشيخ سعيد كان يمتلك شخصية كرزماتية (جذابة أو ملهمة) إلا أنّه لم يكن في مستوى سياسيي أنقرة من حيث الحنكة السياسية والإلمام بالأحداث الداخلية والدولية.

وحركته كانت شبيهة جداً بالحركات الصوفية المجاهدة، في القرن التاسع عشر، في العالم الإسلامي. في الحقيقة يبدو أنّ الشيخ عبيدالله النهري كان أكثر إلماماً بالأمور السياسية الداخلية والخارجية من الشيخ سعيد، وقد لا نبتعد من الحقيقة كثيراً، إذا قلنا أنّ حركة الشيخ سعيد ولدت متأخرة بقرن من الزمن، كما لم يكن الشيخ سعيد ولا أحد غيره من القادة المجاهدين ملمين بالأمور العسكرية البحتة، في فنون إدارة القتال، فمثلاً صرف المجاهدون جهوداً كبيرة في الهجوم على مراكز المدن، على الرغم من أنّه لم يكن في حوزتهم الأسلحة الهجومية، ولم يكن يخطر على بالهم كيف يمكن الدفاع عن هذه المدن أمام القوات التركية النظامية، الأكثر خبرة، والمالكة للعتاد والسلاح الأقوى. إنّ الهجوم على دياربكر، العاصمة الإقليمية مثلاً، لم يكن مبنياً على أسس عسكرية عصرية، في أسلوب حصار المدن، واستنزاف العدو من الداخل، ثم إحداث ثغرات في الأنظمة الدفاعية في المدينة، كما يبدو أنّ المجاهدين لم ينسقوا مع الداخل، علماً أنّ أهالي المدن الكردية كانت هي الأخرى مستاءة من تصرفات الحكومة المركزية[11].

كانت الحركة، إلى حدٍ كبير، ريفية الطابع من حيث القيادة والقاعدة

(11) شيركو: ص 94-95.

(الشيوخ، علماء الدين، المريدين، الفلاحين، القرويين)، لم يكن للأرستقراطية المدنية دور مهم لا في القيادة، ولا تركيبة حركة الشيخ سعيد. إنّ عدم اشتراك الأرستقراطية المدنية في الثورة يعود لأسباب عديدة، منها أنّ الطريقة النقشبندية استحوذت على الثورة وتجاهلت طبقة التجار والنخبة داخل المدن، أو أنّه لم يكن هناك الحد الأدنى من التفاهم بين القيادة المدنية والقيادة التقليدية الريفية[12]. علماً أنّ القيادة المدنية (النخبة والتجار) كانوا إلى حدٍ ما منضوين إلى لواء منظمة آزادي. لذلك فإنّ غلبة الطابع الريفي على الثورة تشير إلى ضعف دور آزادي في الثورة. وأنّ عدم إمكان القيادة المدنية من أخذ المبادرة في قيادة الثورة، أو الاشتراك الفعال فيها، مؤشر واضح على ضعف النخبة، أو بالأحرى ضعف الفكر القومي الكردي آنذاك، وعدم تنظيمه داخل المدن.

ولدت حركة الشيخ سعيد في ظروف اجتماعية واقتصادية استثنائية وصعبة للغاية والجدير بالذكر أنّ كردستان ـ تركيا في عام 1925م كانت قد خرجت لتوها من حربين مهمتين: الحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال الوطني التركي، وكان لهاتين الحربين تبعات كثيرة. فمن الناحية الاقتصادية مثلاً، كانت لا تزال هناك حالة شبه مجاعة تهدد الأمن والاستقرار وخلق حالة نفسية فريدة، إذ كان من الصعب بمكان القدرة على ضبط السكان والمجاهدين والحفاظ على الأمن في المدن التي وقعت تحت سيطرة المجاهدين. فمثلاً بعد سقوط مدينة العزيز، بأيدي الثوار، انهار النظام الأمني وسادت الفوضى في المدينة، وكثرت فيها حوادث السرقة والنهب وهذا مما دفع أهالي المدينة إلى الانضواء إلى لواء سيد محمد بيك (أحد وجهاء المدينة) الذي استطاع إخراج الثوار من المدينة وإعادة سلطة الحكومة المركزية إلى المدينة.

ومن العوامل الذاتية التي ساهمت في فشل الحركة هي عدم الوحدة بين الكرد، فلم يكن هناك ما يصطلح عليه بالشعور التضامني (القومي) بين القبائل الكردية المتناحرة. وتجلّى ضعف الشعور القومي عند الكرد، في أثناء ثورة كوجكري (1920 ـ 1921م)، إذ ظلّت هذه الثورة مقتصرة على درسيم والقبائل

(12) Olson, pp. 98-99.

العلوية الشيعية الكردية، مما سهّل مهمة الحكومة المركزية في القضاء عليها؛ وكانت حركة الشيخ سعيد مناسبة أخرى لإظهار ضعف الوحدة القومية بين الكرد، ولم تقتصر القبائل العلوية الكردية على عدم تأييدهم لحركة الشيخ سعيد السنية، بل أصبحوا عوناً مهمين للحكومة المركزية، لقمع هذه الحركة التي عدّتها القبائل الشيعية الكردية كلولان وخورمك حركة سنية متعصبة. لقد حاول الشيخ سعيد كسب ودّ رؤساء القبائل المذكورة، ولكن دون جدوى، وذلك لوجود نزاع قبلي حاد بين عشائر علوية في ديرسيم ورئيس قبيلة جبرانلي الذي كان يساند الثورة. واستطاعت الحكومة استغلال هذه النزاعات إذ قامت بتسليح لولان وخورمك في منطقة ديرسم ليكونوا سداً منيعاً أمام حركة الثوار في منع التحرك باتجاه الشمال والغرب نحو ملاطية وأرضروم. كما هاجمت العشائر الشيعية مواقع ثوّار الكرد، واستنفذت الكثير من طاقاتهم[13].

ولم يكن النزاع مقتصراً على أسس طائفية فقط، بل كانت هناك نزاعات قبلية تقليدية التي كادت تفتك بالكرد فتكاً كبيراً، كما أنّ الحكومة المركزية استطاعت أن تشتري بالأموال والألقاب الفخرية والسلاح ودّ كثير من رؤساء القبائل. لذلك لم يشارك الكثير منهم في الثورة، وحين وصلت القوات الحكومية إلى كردستان شارك معها قسم من هذه القبائل، ببعض المسلحين، لمهاجمة الثوار أنفسهم من أبناء جلدتهم[14].

كما لم تكن هناك وحدة، داخل الطريقة النقشبندية التي كانت بمثابة الحزب الذي قاد الثورة. لم يكن الشيخ سعيد بلا منازع في قيادة الحركة النقشبندية في كردستان ـ تركيا. كان شيوخ نورشين، القريبة من هاموش، مثلاً من الشيوخ المتنفذين داخل الطريقة النقشبندية، وكانوا يفضّلون مسايرة الحكومة المركزية والاهتمام بالأمور الروحية، ولم يكن الجهاد من أولوياتهم، لذلك طلبوا من مريديهم عدم الانضمام إلى حركة الشيخ سعيد[15].

---

(13) Bruinessen, pp. 400-401.

(14) المرجع السابق.

(15) حسرتيان، ص 84.

أمّا الظروف الموضوعية المتعلقة بخارج كردستان، فلم تكن هي الأخرى لصالح حركة الشيخ سعيد، إذ كان الثوار في كردستان. يواجهون الحكومة المركزية التي كانت تملك الطائرات والأسلحة المتطورة، والجيش التركي ورث خبرة طويلة من المعارك من الجيش العثماني المنحلّ، وقد استطاع مصطفى كمال تسخير الفيلقين الخامس والثامن من الجيش التركي لقمع الانتفاضة. وكان عدد قواته نحو 55 ـ 60 ألف جندي نظامي مجهز بالأسلحة الحديثة، في حين لم يبلغ عدد المجاهدين في كل الجبهات 10 آلاف مجاهد[16].

كان هناك في استنبول وأنقرة في عام 1925، معارضة تركية إسلامية واسعة النطاق، ضدّ مصطفى كمال. إذ إنّ الأخير بدأ يتخلّى أو يصفّي زملاءه وينفرد بالحكم. كما أنّ قيام الثنائي مصطفى كمال وعصمت أينونو بإلغاء الخلافة وقوانين الشريعة أثار استياء كثير من المسلمين في تركيا، وبدا هذا الاستياء يتجلّى بوضوح في البرلمان التركي، وفي الصحافة التركية، وخصوصاً في الجرائد والمجلات الصادرة في استنبول من أمثال (سبيل الرشاد)، و(توحيدي أفكار)، و(صن تلغراف)[17].

وكان السيد عبدالقادر النهري، رئيس مجلس الأعيان السابق في الدولة العثمانية، على اتصال بالمعارضة التركية الإسلامية، وكان السيد عبدالقادر من دعاة إعادة الخلافة، وأن يعيش الكرد والترك في ظل السلطة العثمانية، ولكن في نظام يتصف باللامركزية (الفيدرالية). ففي شهر تشرين الثاني 1924، أرسل الشيخ سعيد ابنه الشيخ علي رضى إلى استنبول، وحلّ الأخير ضيفاً على السيد عبدالقادر النهري. وجرت دراسة الأوضاع في تركيا. وكيف يمكن أن يستفيد الشيخ سعيد في حركته من المعارضة التركية الإسلامية[18]. ولكن ليس هناك حتّى الآن أيّ دليل يؤكّد وجود اتفاق مسبق بين المعارضة التركية وحركة الشيخ سعيد. كلّ الدلائل المتوفرة والمتجسدة، في صحافة المعارضة ومذكرات

(16) Bruinessen, p. 402.

(17) Olson, pp. 108-109.

(18) حسرتيان، ص 98-99.

السياسيين المعارضين، تشير إلى عدم وجود دراية أو تصور واضح عند المعارضة، تجاه الأهداف الحقيقية لحركة الشيخ سعيد. كما أفلح مصطفى كمال في تصوير الثورة في كردستان بكونها مؤامرة قومية انفصالية مدعومة من قوى أجنبية معادية للترك والإسلام. فنشرت جريدة (الوقت) التركية في عددها الصادر بتاريخ 18 حزيران 1925 ادّعاء النائب العام ضدّ الشيخ سعيد و53 من رفاقه قائلة:

«النائب العمومي: إنّ الثورة الأخيرة التي قامت في الولايات الشرقية التي هي أهم جزء من الوطن التركي الخالد... كانت منبعثة من ذلك الروح الخبيث الذي دفع بلاد البوسنة والهرسك عن الترك والإسلام إلى الثورة على الترك، والذي حمل الأرانطة، الذين كانوا تشرّفوا منذ خمسة قرون بشرف الوطنية التركية والإخاء العثماني، على طعن الأتراك الذين ما برحوا يعاملون إخوانهم بالعطف... من خلف ظهورهم في حرب البلقان، والتي طغت على السوريين والفلسطينيين في الحرب العالمية.

فالغاية التي حرّكت الكرد على الترك، الآن، هي الغاية الممقوتة نفسها التي حرّكت هؤلاء الأقوام، والقائمون بهذا العمل في الداخل والخارج، هم من الخونة الذين اتحدوا مع كثير من الذين لا وطن لهم، على مقربة من حدودنا الوطنية بحماية من أعدائنا [المقصود هنا الإدارة الإنجليزية في العراق ـ الكاتب]». وإزاء هذا الوضع الحرج لم يستطع أي طرف في المعارضة التركية أن يعبّر عن مساندته لحركة الشيخ سعيد، فأعلن كاظم قرة بكر رئيس الحزب الجمهوري التقدمي المعارض عن اتفاق مع الحكومة لتصفية (خونة) الوطن ممن يستغلون الدين لأغراض سياسية[19].

لذلك استطاع مصطفى كمال حصر الثورة بالمنطقة الكردية، وحتى داخل المنطقة الكردية أصبحت الثورة محصورة ببقعة صغيرة (وادي فرات صو). وسهّل بذل تصفيتها بالأساليب العسكرية الصارمة. وهناك عامل موضوعي آخر

(19) Mehmet Bayrak. Kürtler Ve Ulusal Democratik Mucadeleri, (Ankara, ABC Matbacilik, 1993), p, 328.

وهو الذي ساهم في تسهيل مهمة الحكومة التركية، في القضاء على الجهاد في كردستان، وأعني به العامل الإقليمي. وإن هذا العامل ـ كما سنشرحه فيما سيأتي ـ كان مهماً ولصالح مصطفى كمال. ففي عام 1921 وقّع كلٌ من تركيا وفرنسا اتفاقية الصلح والتعاون؛ وأصبحت هذه الاتفاقية منطلقاً للتعاون الفرنسي ـ التركي ضدّ المصالح البريطانية في الشرق الأوسط. وكما توصّل الاتحاد السوفيتي ومصطفى كمال في العام نفسه إلى توقيع اتفاقية مماثلة، وقد تعهّد كلٌ من الروس والفرنسيين بدعم جهود مصطفى كمال، ضدّ القوميين الكرد الذين كانوا يتحركون بدعم بريطانيا.

وكما سبق لرضا شاه في الفترة 1920 ـ 1924، قمع الثورة الكردية التي كان يقودها سمكو، لذلك كانت إيران وتركيا تشعران بخطورة القضية الكردية عليهما. ومما ساعد مصطفى كمال ورضا شاه على التعاون بالنسبة للقضية الكردية هو إعجاب رضا شاه بشخصية مصطفى كمال، وسياساته اللادينية. حيث كان الاثنان يريان أنّ الكرد شعب متخلف، ومتعصب للإسلام الذي هو عامل معيق ـ حسب نظرهما ـ لإصلاحاتهم الغربية اللادينية.

ومن الجدير بالذكر أنّ بريطانيا كانت تشجع الدول الإقليمية (إيران وتركيا والعراق) على التعاون والتنسيق بينهم ضدّ الحركة الكردية التي أصبحت، من وجهة نظر الإنجليز، بعد اتفاقية لوزان عام 1923 عاملاً لعدم الاستقرار في المنطقة. بإيجاز ولدت حركة شيخ سعيد في بيئة إقليمية معادية، وكانت تحاول أن تتجه وتقود الكرد باتجاه معاكس لمصالح القوى الغربية القوية المتحالفة مع نظام مصطفى كمال.

هناك إشكالية واضحة، فيما يتعلّق بانتفاضة الشيخ سعيد، إذ ليس هناك إجماع بين الباحثين حول بواعث الانتفاضة. يميل معظم الباحثين الكرد من ذوي الاتجاه العلماني إلى كون الانتفاضة ثمرة لتخطيط الحركة القومية الكردية وخاصة آزادي وجمعية تعالي وترقي كردستان. وهناك بعض الباحثين الغربيين والروس الذين نحوا المنحى نفسه. ولكن ظهرت مؤخراً بعض الوثائق والدراسات في تركيا وخارجها تبين كون الانتفاضة حركة إسلامية أرادت إرجاع الخلافة الإسلامية وإعادة الاعتبار للشريعة، وإن لم يكن البعد القومي غائباً كلياً عن الحركة.

إنّ لهذه الإشكالية أسباباً عديدة، منها: أنّ القادة والمنفذين الرئيسيين للحركة قد أعدموا جميعاً، ولم يترك هؤلاء مذكرات مكتوبة. كما أنّ الحكومة التركية حتّى الآن (2005) تعدّ الوثائق المتعلّقة بحركة الشيخ سعيد، من الأمور السرية التي تخصّ أمن البلاد، لذلك لم تفتحها كلياً، للباحثين للاستفادة منها. كما لم يحسم الباحثون جوانب كثيرة من الثورة، خاصة تلك التي تتعلق بعلاقة جمعية آزادي الكردية بالانتفاضة. وعقّدت مهمة الباحثين البلاغات الرسمية الحكومية، والصحافة التركية الرسمية، وغير الرسمية التي كانت أصلاً موجهة من أجل تدعيم التصور الرسمي للحكومة، حول الانتفاضة. وأخيراً ساهمت المنهجية الغربية في البحث عند دراسة انتفاضة الشيخ سعيد مساهمة غير يسيرة، في خلق الإشكالية حول بواعث الانتفاضة.

إنّ الخلط بين نشاط جمعية آزادي في بداية العشرينيات، والتي انتهت بحركة بيت الشباب في عام 1924، وحركة الشيخ سعيد سبب مهم في خلق الإشكالية حول حركة الشيخ سعيد.

في عام 1923، وبعد أن شعر القوميون الكرد بأنّ مصطفى كمال قد استغلّهم في تحقيق مآربه. اجتمعت مجموعة من الضباط والمثقفين الكرد (الأنتلجنسية الكردية) في أرضروم، وشكلوا جمعية سرية للعمل من أجل تحقيق الأماني القومية الكردية. وكان من أبرز الناشطين في هذه الجمعية رئيسها العقيد خالد بيك جبرانلي، وهو ابن رئيس عشيرة جبرانلي، وأحد قادة الألوية الحميدية، ويوسف ضياء بيك نائب بتليس في البرلمان التركي، وهو من عائلة أمراء بدليس، كما كان إحسان نوري باشا، والضابط إسماعيل حقي شاويس من أهم مؤسسي آزادي. وعقدت الجمعية مؤتمرها التأسيسي الأول في عام 1924. وجرى في ذلك المؤتمر الاتفاق على خطة عمل لمواجهة السياسة القمعية الصهرية التي كانت تتّبعها الحكومة تجاه الكرد وكانت هناك في عام 1924 ظروف موضوعية وذاتية مهيّأة للعمل في كردستان تركيا، ضدّ مصطفى كمال وذلك لأسباب شتّى، منها:

إلغاء مصطفى كمال الخلافة في 4 آذار 1924 ثم إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية. إنّ إلغاء الخلافة وإعلان الدولة القومية التركية اللادينية، كانا إلغاء

للصلة الوحيدة والمهمة التي كانت تربط الكرد والترك أكثر من ثمانية قرون. إنّ الخلافة والهوية الإسلامية اللتين جمعتا الكرد والترك خلال هذه القرون، خلقتا إطاراً شاملاً جامعاً ناجحاً، رغم بعض الصور السلبية. وتحت ذلك الستار حارب الكرد والترك دفاعاً عن الإسلام، في حروب الدولة العثمانية التاريخية والمهمة في أوروبا الشرقية. وفي الصراع بين الدولة العثمانية السنية والدولة الصفوية الشيعية في إيران، أدّى الكرد، من أهل السنة، دوراً بارزاً في رجحان كفة الميزان لصالح العثمانيين.

إنّ إلغاء الخلافة أثار حفيظة المسلمين الكرد المتعلقين بها إثارة كبيرة، وعدّوا حكومة أنقرة حكومة غير شرعية.

أصدرت الحكومة التركية عام 1923 قانون رقم 1505 القاضي بمصادرة أراضي رؤساء العشائر الكردية والشيوخ الدينيين، وكان هذا القرار غطاء آخر لتتريك المنطقة، لأنّه كان من المقرر إعطاء تلك الأراضي المصادرة إلى المهاجرين الترك الذين طردوا من أوروبا إلى تركيا.

وإنّ منع استعمال اللغة الكردية في المحاكم والإدارة والتعليم، وحذف كلمة «الكرد» و«كردستان» من جميع الكتب والخرائط التركية وتتريك الإدارة في كردستان بتعيين الموظفين الترك أو الكرد المتعاونين مع الحكومة في السياسة الحكومية الرامية إلى صهر الكرد في بوتقة الأمة التركية، بشتى أساليب الترغيب والترهيب، وعلى رأسها القوة، ساهمت في خلق استياء بين مختلف الشرائح التركية ضدّ الحكومة التركية. وحتّى إنّ ممثلي الكرد في المجلس الوطني التركي تختارهم الحكومة وفق ولائهم لها، ولم يكن للانتخابات أيّة مصداقية في المنطقة الكردية.

ثم كانت هناك قناعة راسخة بين القوميين الكرد بأنّ الحكومة غير راغبة في تطوير منطقتهم، رغم أنّ الكرد كانوا يدفعون العديد من الضرائب الحكومية المجحفة، وكانت الحكومة تستغل ثروات المنطقة الكردية، وتنهبها نهباً واضحاً في الوقت الذي حرمت المنطقة من التمتع بنصيب عادل من هذه الثروات[20].

(20) Bruinessen, p. 395.

لهذه الأسباب كانت هناك قناعة راسخة، ومعقولة، عند القوميين الكرد بأنّهم إذا لم يتحركوا فإنّ مصطفى كمال سيستمر في سياسة الصهر والقمع في كردستان. وفي آب 1924 عقد في مدينة دياربكر (العاصمة الإقليمية في كردستان ـ تركيا) مؤتمراً حضره وجهاء الكرد وقياداتهم التقليدية والحكومة المركزية لبحث المطالب الكردية. وطالبت القيادة الكردية بالمطالب الآتية:

1 ـ أن تكون لكردستان إدارة ذاتية يديرها الكرد.

2 ـ إعطاء قرض كبير للمزارعين في كردستان، لتجاوز الأزمة الاقتصادية الخانقة التي كانت تعصف بالمنطقة، منذ الحرب العالمية الأولى.

3 ـ وإعلان عفو عام عن جميع السجناء الكرد السياسيين.

4 ـ والإيقاف المؤقت للتجنيد الإجباري للخدمة العسكرية، في كردستان.

5 ـ إعادة المحاكم الشرعية إلى كردستان والتي كانت قد ألغتها الحكومة[21].

ولكن الحكومة المركزية لم تكن مستعدة لتلبية أيّ من هذه المطالب الكردية، وحذّرت قادة الكرد من عواقب مقاومة سياسة الصهر القومي.

إنّ فشل مؤتمر دياربكر كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير بين القوميين الكرد والترك، واقتنع قادة الكرد بأنّه لم يبق أمامهم إلا الخيار العسكري المسلح. لذلك بدأ الضباط الأعضاء في آزادي بأخذ الاستعدادات الأزمة، لانتفاضة مسلحة. وعقدت عدة اجتماعات سرية في المدن الكردية لهذا الغرض. وبينما كانت هذه الاستعدادات جارية على قدم وساق، أرسل ضياء بيك البدليسي رسالة إلى أخيه رضا بيك الذي كان ضابطاً في بيت الشباب، مبيناً له الحالة السياسية. ويبدو أنّ رضا بيك قد أخطأ فهم تلك الرسالة وحثّ الضباط الكرد، في الكتيبة المتمركزة في بيت الشباب، على التمرد. لذلك قام الجنرال إحسان نوري باشا ورفاقه الضباط في الكتيبة المذكورة بإعلان التمرد، وأخذ بعض الأسلحة الخفيفة معهم إلى الجبال القريبة. ورغم النداءات العديدة

(21) Oslon, pp. 44-45; Bruinessen, pp. 378-380.

التي أرسلها ضباط آزادي إلى فروعها، وإلى القبائل الكردية إلا أنّه لم يلبها أحد. وبدأت القوات التركية تلاحقهم في الجبال، الأمر الذي أجبر إحسان باشا ورفاقه على دخول كردستان ـ العراق، وتسليم أنفسهم للإدارة الإنجليزية في العراق[22].

ثمّ في شهر تشرين الثاني 1924 وبعد التحقيقات الحكومية في حادثة بيت الشباب، تبيّن للحكومة أنّ الضباط المذكورين كانوا منتمين إلى آزادي وكانوا على اتصال بـ(خالد بيك جبرانلي) و(يوسف ضياء بيك) فجرى اعتقال القائدين المذكورين ومعظم العناصر النشطة في آزادي. وحسب رأي الأستاذ برونسن فإن معظم قادة وكوادر آزادي غير المعتقلين تخلوا عن قياداتهم، ودبّت الفوضى بينهم. ويبدو أنّ الشيخ سعيد هو الذي أراد أن يضع خطة لإنقاذ خالد بيك جبرانلي من السجن، وذلك بسبب القرابة التي كانت بين الاثنين[23].

كان لتمرد بيت الشباب رغم فشله ومحدوديته أبعاد كثيرة. فقد أثبت للأنتلجنسيا (المثقفين والضباط الكرد) بأنّهم غير قادرين على تحريك الجماهير بشكل واسع النطاق. كما أنّه لفت الحكومة التركية إلى جدية آزادي في العمل ضدها. لذلك بدأت السلطات التركية تراقب الحركة القومية الكردية مراقبة دقيقة، وتضايق وجهاء الكرد وتقيّد حركتهم، كما أبعدت العديد منهم إلى خارج كردستان.

دور الشيخ سعيد في الانتفاضة

ينتمي الشيخ سعيد، حسب رواية حفيده السيد عبدالملك فرات، إلى عائلة دينية عريقة خدمت العلوم الإسلامية والطرق الصوفية لأكثر من 500 سنة. كان الشيخ سعيد الحفيد الأول للشيخ علي السبطي النقشبندين ومن ساكني قرية سبط القريبة من دياربكر، وقد كان الشيخ سعيد يوقع رسائله أحياناً باسم سعيد محمود علي السبطي الآمدي. هاجر جده علي السبطي إلى قرية بالو في ولاية غنج، واستطاع أن يكسب ولاء عشائر زازا.

---

(22) Oslon, p. 45.

(23) Agha, Shaikh and the State, p. 383; سلوبي، ص104-105.

درس الشيخ سعيد على يد عمه العلوم الإسلامية، كالفقه وأصول الدين والمنطق والنحو والفلسفة وأجاد فيها، ونال تقدير العلماء في عصره. وفضلاً عن ذكائه الحاد وشخصيته الوقورة فقد كان الشيخ سعيد بشوشاً، وسيم الطلعة، وزاهداً، وتقياً؛ وقبل كلّ شيء كان مؤمناً بأنّ الطريقة النقشبندية بحاجة إلى الإصلاح، لتواكب العصر، وتحيي فيها قيم الجهاد. شارك الشيخ سعيد مع أقربائه ومريديه، في العديد من الحروب العثمانية ـ الروسية وأبلى فيها بلاء حسناً. أضف إلى ذلك، فقد كان الشيخ من أحد كبار ملاكي كردستان[24].

كان الشيخ سعيد رجلاً حركياً وواعياً، حيث استاء كثيراً، من عدم اكتراث الطرق الصوفية لمأساة المسلمين الكرد، وعبث مصطفى كمال بالخلافة والشريعة. وساهم مساهمة كبيرة في إقناع ضباط الألوية الحميدية الكردية بتأييد آزادي، في نضاله ضدّ مصطفى كمال. علماً بأنّ ضباط الألوية الحميدية كانوا قد تشربوا بأفكار السلطان عبدالحميد الثاني في تأييد الجامعة الإسلامية والدفاع عن الشريعة. يبدو أنّ هؤلاء الضباط كانوا متحفظين في التعامل مع آزادي لعدم علمهم بأهدافه وارتباطاته الخارجية، ولكن تدخّل الشيخ أنهى هذا التحفظ. ومن الجدير بالذكر أنّ العقيد خالد بيك جبرانلي كان من ضباط الحميدية، ومن أقرب المقربين إلى السلطان عبدالحميد ومن دعاة الجامعة الإسلامية[25].

إنّ مذكرات ضباط حركة بيت الشباب ووثائق آزادي التي استطاع الإنجليز الحصول عليها، تقطع بأنّ الشيخ سعيد لم يكن عضواً في آزادي[26]. ولكنه كان على صلة بـ(آزادي) من خلال العقيد خالد بيك جبرانلي الذي كان عديل الشيخ والأستاذ برونسن محق في قوله أنّ الشيخ سعيد كان أكبر من أن ينتمي إلى حركة، مجموعة من الضباط، وهو محقّ أيضاً في مقارنة موقع الشيخ سعيد داخل آزادي بموقع كل من مصطفى البارزاني داخل الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق، وموقع القاضي محمد داخل الحزب الديمقراطي

---

(24) Girişim, No. 4-1989.

(25) Bruinessen, pp. 381-382.

(26) O. 371/1924 (E11 093/11093, A Report on Kurdish Nationalist Society in East Anatolia.

الكردستاني في إيران. فعلى الرغم من أنّ كلاًّ من البارزاني والقاضي محمد أصبح رسمياً رئيساً لحزبه، إلاّ أنّ كلّ واحد منهما كان يرى نفسه أكبر من الحزب الذي يمثله، لأنّ الرصيد الديني لكل واحد منهما كان أكبر من رصيده، كرئيس لحزب[27].

بعد اعتقال خالد بيك جبرانلي ويوسف ضياء بيك، وفي أثناء المحاكمة في كانون الثاني 1925 طلبت المحكمة التركية إلى الشيخ سعيد المثول أمامها في بدليس للاستجواب. إلا أنّ الشيخ شعر بأنّ ذلك الطلب محاولة لاعتقاله بعيداً من مركز نفوذه وتكيته في بالو، لذلك اعتذر عن الحضور أمام المحكمة، بحجة مرضه.

ويبدو أنّه أدرك أنّ مسألة اعتقاله أصبحت مسألة وقت، لذلك عجّل في اتخاذ الخطوات الكفيلة بإعلان الانتفاضة. وفي تلك الفترة قام الشيخ سعيد بزيارة العديد من رؤساء القبائل يحثّهم على الجهاد، ضدّ النظام الكمالي. كما أرسل ابنه الشيخ علي رضا إلى حلب لبيع 20 قطيعاً من الغنم، ليوفر المستلزمات المالية لحركته. وبعد عودة علي رضا من حلب أرسله الشيخ سعيد إلى استنبول، للالتقاء بالسيد عبد القادر الشمزيني (الشخصية الكردية البارزة هناك، ورئيس جميعة تعالي وترقي الكردي المحظور). ويبدو أنّ علي رضا تلقى التأييد والتشجيع من السيد عبد القادر النهري الشمزيني، وقال الأخير بأنّه سيدعم الحركة شخصياً، إذا جمعت بين المطالبة برفع مظلومية الكرد وإعادة الخلافة[28].

لذلك فإنّ زيارة الشيخ سعيد من بالو إلى بيران في شباط 1925 كانت ضمن الإجراءات التي اتخذها استعداداً للانتفاضة، وإنّ حادثة الاعتداء على اثنين من مرافقيه، والتي فجرت الثورة قبل أوانها، إنّما كانت خطة حكومية مقصودة لاستفزاز الشيخ سعيد ودفعه إلى التحرّك قبل استكمال التدابير اللازمة.

وعلى الرغم من أنّ الشيخ لم يكن ملماً بالأمور العسكرية من قبل، فقد

---

(27) Agha, Shaikh and the State, p. 354.

(28) حسرتيان، ص 73-72.

شكّل هيئة أركان حربية من خلفائه ومريديه في الطريقة النقشبدية، وقسّم قواته إلى خمسة قواطع وعيّن أميراً على كلّ قاطع من القواطع الآتية:

- قاطع خربوط ـ العزيز ـ الشيخ شريف من جقوردرة.
- القاطع الشمالي وكان أميره الشيخ عبد الله من ملكان، ووضع تحت إمرته معظم المجاهدين في منطقة موش، فارتو، وجياجقور. ووضع الشيخ علي رضا تحت إمرة الشيخ عبد الله في هذا القاطع.
- قاطع ديار بكر ـ الشيخ حقي.
- قاطع سلفان ـ الشيخ شمس الدين.

وقد منح المجاهدون لقب «أمير المجاهدين» إلى الشيخ سعيد، إلاّ أنّه كان يوقّع توجيهاته باسم «خادم المجاهدين»[29]. ولكن يدّعي الأستاذ نورالدين الديرسمي العلوي أنّه بعد اعتقال قادة آزادي، انتخب الشيخ سعيد رئيساً لـ(آزادي)، واتّخذت الإجراءات اللازمة بإطلاق سراح قادة آزادي وقد شملت هذه الإجراءات تسليح العشائر، وكسب ودّهم كما جرى تحديد 21 آذار يوم انطلاق الانتفاضة[30]. ويكتب الأستاذ ج. بله ج شيركو (الأمير جلادت بدرخان) بأنّ الثورة كانت من تخطيط المرحوم الشهيد مير آلاي (العقيد) خالد بيك جبرانلي الذي أرسل أعضاء آزادي إلى رؤساء القبائل الكردية يحثّهم على الانتفاضة. كما قام العقيد خالد بيك بتوزيع الأسلحة والذخائر الحربية على الجبهات المهمة. غير أنّ الثورة انفجرت قبل الميعاد المقرر (21 آذار) بخمسة عشر يوماً، وبدأ خالد بيك ومجموعة من الضباط الكرد الذين كانوا بعيدين عن موقع اندلاع الانتفاضة السفر فوراً إلى ولاية غنج للإشراف على الثورة، وإدارة دفة القتال حسب البرنامج الموضوع سابقاً، غير أنّ السلطات التركية ألقت القبض على أكثرهم قبل الوصول إلى هناك[31].

---

(29) Bruinessen, p. 385.

(30) Kurdistan Tarihinda Darsim, (Alepo: Ari Matbasi, 1952), pp. 174-175. وانظر: سلوبي، ص106-108.

(31) القضية الكردية، ماضي الكرد وحاضرهم، (بيروت: دار الكاتب 1986)، من إصدارات جمعية خويبون ترجمة ونشر. ، ص94.

إنّ المعلومات التي وردت أعلاه من كلٍ من الديرسيمي والأمير جلادت بدرخان، والذي بنى عليها كثير من الكتّاب (من الكرد وغيرهم) تقييمهم لحركة الشيخ سعيد، بحاجة إلى دراسة وتحليل ونقد. صحيح أنّ الكاتبين كليهما كانا من معاصري الشيخ سعيد. إلاّ أنّ أحداً منهما لم يكن من مخططي ولا منفذي الثورة ولم يكن أياً منهما عضواً في أزادي، ومن الصعب بمكان، معرفة ما كان يجري داخل جمعية سرية كجمعية آزادي. لقد أورد الأمير جلادت بدرخان معلومات خاطئة حين ادّعى أنّ العقيد خالد بيك جبرانلي وغيره من الضباط كانوا في طريقهم إلى منطقة الثورة، حين ألقي القبض عليهم. لأنّنا نعرف بأنّ العقيد خالد بيك جبرانلي سبق وأن اعتقل في شهر تشرين الثاني من عام 1924 وذلك بعد حركة بيت الشباب.

يورد الأستاذ برونسن بعض المعلومات الشفهية من المدعو الملا حسين الذي كان عمره عشرين سنة، في أثناء حركة الشيخ سعيد، والذي سبق أن شارك في الحركة. وفق هذه المعلومات، كان هناك في شهر كانون الثاني 1925 اجتماع لرؤساء العشائر الكردية في منطقة زازا قبل انطلاق الثورة بأسابيع قليلة، وحسب شهادة الملا حسين كان ذلك الاجتماع لأعضاء آزادي[32].

لم يكن الملا حسين عضواً في آزادي، لذلك فمن المتوقع أنّه قد خلط بين اجتماعات آزادي واجتماعات رؤساء العشائر الكردية، بدعوة من الشيخ سعيد، والذي ـ كما ذكرنا ـ لم يكن هناك دليل على عضويته في آزادي. ويقول البروفسور أولسن في حاشية له في فصل الخامس من كتابه المشار إليه أعلاه «لم يكن معلومات ملا حسين دقيقة وحاول أن يؤثر علي وتصوير الثورة حسب قناعته وكان هناك الكثير من التناقضات في أقواله»[33].

إنّ سير الأحداث والسيطرة الكاملة للشيخ سعيد على الثورة، وكذلك تركيب القيادة والقواعد تؤكد، بما لا شك فيه، على أنّ الثورة كانت من

(32) Agha, Shaikh and the State, p. 354.

(33) The Emergence of the Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion p. 456.

تخطيط الطريقة النقشبندية في كردستان ـ التي كانت حتماً متأثرة بدعوة آزادي للثورة ـ إذ سمي الثوار بالمجاهدين، وسمي قادة الجبهات بالأمراء، واستعمل الشيخ سعيد الخطاب الإسلامي، وليس الدعوة القومية (الخاصة بآزادي) لتشجيع الجماهير على الثورة. وكما عرضنا، فيما سبق، لم يكن للمثقفين (الضباط والمهنيين الكرد) في المدن أية مشاركة في تلك الثورة، وإنّ المناطق التي خضعت للثورة، شكّلت فيها إدارة كردية يغلب عليها الطابع الديني، وهنا أيضاً لم يكن لأبناء المدن دور مذكور في إدارة تلك المناطق.

وتعدّ شهادة زنار سلوبي مسؤول آزادي ـ فرع ديار بكر ـ حول حركة الشيخ سعيد، شهادة مهمة تزيل كثيرا من الإبهام عن موقف آزادي من حركة الشيخ سعيد حيث يقول سلوبي (قدري جميل باشا): «عندما عرفنا في ديار بكر في شباط 1925 بمقتل عدد من أفراد الجندرمة في قرية بيران، لم نكن نحن أعضاء منظمة آزادي فرع ديار بكر نعلم شيئاً، عن أسباب ذلك الحادث... نظراً لاعتقال رئيس الجمعية خالد بيك جبرانلي، مع عدد من الأعضاء النشطين، توقفت النشاطات التنظيمية في الجميعة، وكنّا نجهل أنّ الحركة بدأت بقرار من الجمعية»[34].

يتبين من هذه الشهادة لأحد معاصري الأحداث، أنّ الانتفاضة لم تكن من تخطيط القيادة في آزادي. ولكن عبارة «وكنا نجهل أنّ الحركة بدأت بقرار من الجمعية» توحي بأنّ الشيخ سعيد أو فرع الجمعية في قرية بيران وبالو قد خططا للثورة. ولكن سبق أن ذكرنا أنّ تلك الثورة لم تكن من تخطيط الشيخ سعيد ولا بقرار من آزادي بل انطلقت عفوياً.

يكشف لنا هذا العرض الموجز أنّ الشيخ سعيد، وليس آزادي، هو الذي أدّى الدور الرئيس في التخطيط للثورة وتنفيذها، وليست هناك دلائل قاطعة على أنّ الشيخ سعيد كان عضواً في آزادي، رغم وجود الصلة بينهما. كانت آزادي قد شلّ دورها بعد حركة بيت الشباب الفاشلة. ولكن كثيراً من الباحثين لا يميزون بين استعدادات آزادي، قبل حركة بيت الشباب ونشاطات

(34) **في سبيل كردستان**، ص 113.

الشيخ سعيد، والحركة النقشبندية التي تمخضت عنها انتفاضة بيران؛ وهذا الخلط بين الحركتين ساهم إلى حدٍ ما في خلق الإشكالية، حول أسباب انطلاقة ثورة الشيخ سعيد.

هناك جانب آخر ساهم في خلط الأوراق، فيما يتعلّق بحركة الشيخ سعيد، وتجسّد ذلك في قيام الحكومة التركية بإقحام مسألة القادة القوميين الكرد، من أعضاء جمعية تعالي وترقي كردستان في استنبول، في مسألة حركة الشيخ سعيد. سبق أن أشرنا إلى أنّ حركة بيت الشباب وانتفاضة الشيخ سعيد كانتا الدافعين لمصطفى كمال إلى اتخاذ إجراءات صارمة، ضدّ الحركة القومية والمنظمات والشخصيات الكردية.

وبعد وقوع الشيخ سعيد وقادة انتفاضة بيران في الأسر، شعرت الحكومة التركية بالقوة، لذلك استغلت الانتفاضة والاتصالات التي كانت جارية بين الشيخ سعيد والشيخ عبد القادر النهري قبيل الانتفاضة فاعتقلته كما اعتقلت القادة والكتّاب الكرد من أمثال كمال فوزي محرّر جريدة «زين» و«روزي كرد» والدكتور فؤاد وحاجي آختي، وكورسعيد بالو، وأكرم جميل باشا. ما عدا الشيخ عبد القادر النهري، لم يكن لأي من هذه الشخصيات الكردية الأعضاء في جمعية تعالي وترقي كردستان ومنظمة آزادي ضلع في حركة الشيخ سعيد. وقد أكّدوا أمام محكمة الاستقلال التركية التي حاكمتهم في ديار بكر، أنّهم لم يكونوا من مخططي الثورة ولا من منفذيها[35]، وكانوا صادقين في ذلك. ولكن مع ذلك أصدرت محكمة الاستقلال قرارها بإعدامهم مع الشيخ سعيد ورفاقه من قادة المجاهدين.

إنّ محاكمة قادة الحركة القومية مع الشيخ سعيد ورفاقه وفّرت الغطاء التي كانت الحكومة تحتاج إليه في إعطاء الصبغة القومية لحركة الشيخ سعيد بهدف عزلها عن المسلمين الترك. وقد أدّت البيانات الحكومية والصحافة التركية في استنبول دوراً مهماً في تجهيل هوية الانتفاضة الحقيقية، فكانت تلك البلاغات

(35) Bayrak, pp. 145, 158 313; Malmisanij. Bitlisi Kamal Fauzi (Istanbul: Firat Yayin), p. 68.

وتصريحات المسؤولين الحكوميين تشير إلى دور القوى الأجنبية الطامعة في الأراضي التركية، وسعيها لتأسيس دولة كردية بمساعدة «الخونة الكرد».

ويبدو أنّ الحكومة التركية في حربها الإعلامية، ضدّ الشيخ سعيد، سلكت خطة ترتكز على إعطاء صبغة قومية للحركة في الإعلام الداخلي والتركيز على الهوية الإسلامية «ارتجاعي» للانتفاضة في تصريحات المسؤولين والبلاغات الحكومية الموجهة للخارج[36]. كانت هذه الخطة تهدف إلى عزل الثورة عن بيئتها الإسلامية التركية وحصرها بالمنطقة الكردية في الداخل، كما كانت تهدف إلى حرمانها من أيّ دعم خارجي، وذلك بوصفها بحركة رجعية متعصّبة تريد إعادة الخلافة الأمر الذي كان يرهب القوى الأوروبية.

وفي 3 مايس1925 أي بعد السيطرة الكاملة على المعاقل الرئيسية للثورة وأسر قادتها، عقد مجلس أركان الحرب التركية جلسة سرية أقرّ فيها، بعد دراسة خيوط الثورة جميعها من خلال شهادات المعتقلين والوثائق، بأنّها كانت ثورة إسلامية تريد إعادة الخلافة والشريعة وعمّم ذلك القرار (رقم 1845) على دوائر الدولة المعنية بالموضوع. وقد حصل الكاتب الكردي في تركيا المدعو محمد بايراك على جزء من هذه الوثيقة وقام بنشر هذا الجزء من الوثيقة في كتابه حول حركة الشيخ سعيد[37]. ومما سهّل عملية التضليل هذه التعاون بين سلطات الأمن التركية والمدعو الرائد قاسم بيك جبرانلي الذي كان أخاً لعقيد خالد بيك جبرانلي عديل الشيخ سعيد.

كان قاسم بيك من القوميين الكرد النشطين وكان يستغل صلة القرابة بينه وبين الشيخ سعيد، لينال ثقة الأخير. فأصبح من مساعدي الشيخ سعيد، ولكنّه اتصل بالحكومة المركزية، في أثناء الثورة، وبدأ يزودها بتفاصيل تحركات الشيخ، وأدّى دوراً مهماً في مساعدة الحكومة على إلقاء القبض عليه، كما ذكرنا آنفاً. لا نعرف بالضبط أسباب سرّ خيانة قاسم بيك للشيخ سعيد وللانتفاضة؛ ولكن من الممكن أن يكون السبب إدراكه، بوصفه قائداً عسكرياً

(36) Girişim, no. 4-1989.

(37) المرجع السابق، ص407

محترفاً، أنّ فشل الثورة أمرٌ محتوم، لذلك أراد التعاون مع الحكومة للمحافظة على حياته ومصالحه الشخصية.

هناك العديد من الدلائل التي تشير إلى وجود تعاون سري بين أعضاء هيئة محكمة الاستقلال في ديار بكر، والرائد قاسم بيك. فحسب شهادة المدعو عوني دوغان، نائب المدعي العام في محكمة الاستقلال في ديار بكر، كان عصمت باشا على اتصال مع أعضاء هيئة المحكمة في ديار بكر يومياً، وكان يقوم بإرسال التعليمات (عن طريق الشفرة) وطلب فيها من المدعي العام وأعضاء الهيئة التحكيمية استنطاق قادة المجاهدين، بطريقة تؤدّي بهم إلى توريط بعض أعضاء المعارضة، والشخصيات الإسلامية، في أنقرة واستنبول[38]. وليس من المستبعد أن يتعاون قاسم بيك مع الحكومة، في أثناء فترة التحقيق مع المعتقلين، مثلما تعاون معهم في أثناء الثورة، ويمكن ملاحظة هذا التنسيق بين قاسم بيك والحكومة في فقرة من شهادته أمام محكمة الاستقلال التي نقلتها جريدة «الوقت» التركية في عددها الصادر في 9 حزيران 1925، إذ يقول فيها قاسم بيك ما يلي:

«... والحقيقة أنّ السيد عبد القادر والبدرخانيين الذين كانوا يقيمون في الآستانة (استنبول ـ الكاتب) عادة كانوا يقومون بالدعايات للحركة القومية الكردية، منذ سنوات، فأدّت جهودهم إلى تأسيس جمعية تعالي وترقي في الآستانة، وأظن أنّ لها فروعاً تأسست في الأقاليم. وقد فترت أعمال هذه الجمعية قليلاً أثناء الحرب العامة. ولكن بعد الهدنة، انتهز أعضاؤها فرصة ضعف الحكومة التركية والشعب التركي فأعادو تنظيمها من جديد...».

وينقل السيد بايراك في كتابه عن حركة الشيخ سعيد الفقرات التالية من محاكمة قاسم بيك:

رئيس المحكمة: يبدو أنّ هناك ثلاثة أسباب دفعت الشيخ سعيد إلى التمرد: الدين، والصحافة، وخاصة بعض المجلات والجرائد الصادرة في (استنبول) والمعارضة.

(38) المرجع السابق، ص 96-70.

قاسم بيك: نعم، إنّ العوامل التي ذكرتها كان لها دور في الثورة، ولكن أحب أن أؤكّد هنا أنّ السبب الأصلي للثورة، كان رغبة قادتها في تحقيق استقلال كردستان وعملت جميعة آزادي لتحقيق هذا الهدف، ولكننا لا ننكر أنّ المواضيع التي كانت تطرحها المعارضة الإسلامية لمصطفى كمال، على صفحات الجرائد والمجلات الصادرة في كل من أنقرة واستنبول، خاصة جرائد «توحيدي أفكار» و«سبيل الرشاد» و«صون تلغراف»، كان لها تأثيرها الكبير في قادة حركة بيران.

رئيس المحكمة: يبدو أنّ الشيخ سعيد اتّخذ بعض الإجراءات المسبقة للثورة أليس كذلك؟ ومن كان يشاركه في تنفيذ ذلك؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء التمرد؟

قاسم بيك: إنّ قادة الثورة استخدموا الدين كأداة ليشوشوا على السذج من الناس ولكن الهدف كان تحقيق الآمال القومية.

رئيس المحكمة: ومن هم المنفذون الحقيقيون للثورة؟

قاسم بيك: كان هناك السياسيون والدينيون، والسياسيون هم الذين استخدموا الدينيين في تنفيذ الثورة»[39].

لو ألقينا نظرة فاحصة على الشهادات التي أدلى بها قاسم بيك أمام المحكمة يمكننا إدراك جملة من الأمور، فيما يتعلق بالتعاون والتنسيق بين قاسم بيك وأعضاء المحكمة، وذلك لتأكيد التصور الرسمي الحكومي حول الانتفاضة. فتركيز قاسم بيك على البعد القومي الكردي للثورة كان يتماشى مع التصور الحكومي الرسمي، المذكور في الإعلام والبلاغات الرسمية. وكما ورد على لسان قامس بيك عبارة (استخدام الدين كآلة) وهذا ما كانت ترددها البلاغات الرسمية الحكومية. وإنّ عبارة (بأنّ الكرد انتهزوا فرصة ضعف الحكومة والشعب التركي) تدلّ بكل وضوح على أنّ قاسم بيك كان يتبرأ من الكرد، ويتملق للحكومة.

(39) المرجع السابق، ص 322-323، 328-329.

ومن الجدير بالذكر أنّ محكمة الاستقلال قد حكمت بالإعدام على الشيخ سعيد ورفاقه، وأنّ قاسم بيك كان الوحيد الذي برأته المحكمة، وأطلقت سراحه، من مجموع 47 الذين أدانتهم المحكمة، وحكمت عليهم بالإعدام. وهذا دليل آخر على التعاون بين قاسم بيك وسلطات الأمن التركية، في أثناء التحقيق أمام محكمة ديار بكر. ومن المؤسف أنّ كثيراً من الكتّاب يستدلّون بشهادات قاسم بيك على تأكيد الهوية القومية للثورة دون أن يمعنوا النظر فيها بدقة.

وفي 29 حزيران 1925 أصدرت المحكمة في ديار بكر قراراً بإعدام قادة الثورة، وهذه فقرة من خطاب رئيس المحكمة الذي وجهه إلى الثوار، في أثناء قراءة القرار:

«إنّ بعضاً منكم استخدم الناس لأغراضه الشخصية الدنيئة، وإن آخرين منكم وضعوا نصب أعينهم تحقيق أطماع سياسية، بتحريض من الأجانب. وهكذا اتفقتم على نقطة واحدة، وهي تأسيس كردستان مستقلة، وستنالون الآن عقاب الدماء التي أرقتموها، والبيوت التي خربتموها فوق هذه المشانق المنصوبة لتحقيق العدالة»[40]

وكان ردّ الشيخ سعيد على هذا القرار هو «يشهد الله أنّ الثورة لم تكن لا من صنع السياسيين الكرد، ولا من تدخل الأجانب».

ولكن العديد من الكتّاب الذين أرادوا تأكيد الهوية القومية للثورة يستدلون بهذا القرار المجحف الذي أصدرته المحكمة التركية بحق الشيخ سعيد ورفاقه غير آخذين بالحسبان، مسألة بديهية، وهي أنّ القرار الصادر عن الخصم لا يمكن أن يكون حكماً نزيهاً في تقييم هوية الطرف الآخر من النزاع. علماً أنّ قرار المحكمة كان تأكيداً، للمزاعم الحكومية، المسبقة حول الثورة.

وهناك جانب آخر من الإشكالية المتعلقة بحركة الشيخ سعيد والتي تستحق الوقفة الجدية عندها. ويتعلّق ذلك بالارتباط المزعوم بين الحركة المذكورة والإنكليز، وبالتحديد الإدارة الإنكليزية في العراق.

---

(40) سلوبي، ص 125.

إنّ الحكومة التركية هي التي وجّهت تهمة ارتباط حركة الشيخ سعيد بالإنكليز، وذلك لحرمان الثورة من عطف المسلمين الكرد والترك. وكانت الظروف السياسية في عام 1925 مهيأة لقبول هذا النوع من التهم من قبل الرأي العام في تركيا. وذلك لوجود صراع بين الحكومة التركية والإدارة الإنجليزية في العراق حول السيطرة على ولاية الموصل. رغم أنّ مشكلة ولاية الموصل هي مدار بحث آخر لنا منشور في هذا الكتاب، ولا يضر أن نعيد إلى الأذهان هنا بعض الملامح الأساسية لهذه المشكلة. فقبل التوقيع على هدنة مودرس عام 1918 بين الدولة العثمانية المهزومة في الحرب العالمية الأولى، ودول الحلفاء، استطاعت القوات البريطانية أن تصل إلى مشارف المنطقة الكردية، واحتلت مدينة كركوك. وكانت المنطقة الكردية في شمال العراق تطلق عليها في تلك الفترة ولاية الموصل؛ ومدينة الموصل كان مركز هذه الولاية. لذلك أدخل الإنجليز بنداً في اتفاقية مودرس يمكّنهم من الاستمرار في الزحف شمالاً، حتى بعد الهدنة، ووقف إطلاق النار، لأنّهم كانوا مدركين وجود المخزون النفطي في شمال العراق. لذلك استغل الإنجليز هذا البند، وطلبوا إلى القوات العثمانية الانسحاب من كافة ما يعرف اليوم بشمال العراق (ولاية الموصل سابقاً).

لم يكن للقوات العثمانية المهزومة آنذاك حيلة أمام هذا الإصرار الإنجليزي، فانسحبت من المنطقة ولكن في عام 1922، وبعد إلحاق مصطفى كمال الهزيمة باليونانيين وحلفائهم الإنكليز شعر بالثقة بالنفس، وبدأ من جديد بطالب بانسحاب الإدارة الإنكليزية، من شمال العراق، لكونها، وفق رأيه، جرى احتلالها بطريقة مخالفة لاتفاقية مودرس ولكون المنطقة وفق ادّعائه منطقة ذات أغلبية تركية وكردية، ولأنّ الشعبين الأخيرين هما من جنس واحد، وفق قناعته.

ولم تحسم اتفاقية لوزان للسلام التي وقعت بين تركيا ودول الحلفاء هذه المشكلة، لذلك أحيلت مشكلة الموصل عام 1924 إلى عصبة الأمم للفصل فيها. وشكّلت عصبة الأمم لجنة دولية لزيارة ولاية الموصل، لتقصّي الحقائق. فوصلت اللجنة المذكورة في آذار عام 1925 إلى المنطقة. لذلك تزامن وصول اللجنة إلى ولاية الموصل مع حدوث حركة الشيخ سعيد. وهذا مما حدا الحكومة التركية والإعلام التركي على الادعاء أنّ الثورة الكردية هي جزء من

محاولات الإنجليز لخلق النزاع بين الكرد والترك ليصوّت الكرد أمام اللجنة الدولية ضدّ عودة القوات التركية إلى شمال العراق. ويمكن أن نورد، على سبيل المثال، وليس الحصر، ما أوردته جريدة غازتيه الصادرة باللغة الفرنسية، عن الحكومة التركية، وذلك في عددها الصادر في 19 نيسان 1925، أي بعد قمع الثورة بشهر:

«إنّ الوثائق التي جرى ضبطها مع قاسم بيك أحد قادة الثوار الذين ألقي القبض عليهم، تبيّن أنّه كان على اتصال مع الإنجليز، في أثناء الثورة. وهناك وثائق أخرى تثبت أنّ الشيخ سعيد كان على اتصال مسبق بالإنجليز، وأنّهم وافقوا على حركة التمرد».

وكما نشرت جريدة «توحيدي أفكار» في عددها الصادر بتاريخ 5 شباط 1925 أنّ الطائرات البريطانية تسقط بيانات الشيخ سعيد على المناطق الكردية وتضيف الجريدة المذكورة: «ومن المؤسف أنّ إخواننا الكرد يخلقون لنا المشاكل في هذا الوقت الحرج، حيث يهددنا اليونانيون في الغرب، والإنجليز في جنوب شرقي البلاد».

كما أنّ البلاغات الحكومية الرسمية أشارت، وباستمرار، إلى ارتباط الشيخ سعيد بالأجانب، كما شهدت تصريحات المسؤولين الترك ومناقشات المجلس الوطني التركي في أثناء الأزمة تأكيداً، وإصراراً على كون حركة الشيخ سعيد مؤامرة أجنبية[41].

ويؤكد الدكتور روبرت أولسن في دراسته المبنية على الوثائق البريطانية والتركية حول حركة الشيخ سعيد، على عدم وجود أيّ دليل للتورط البريطاني، في المعركة الكردية، ويكتب المؤلف المذكور قائلاً: «ليس هناك أيّ دليل أو إشارة في الأفق على العلاقة بين الشيخ سعيد والإنكليز، وأنّ المزاعم التركية كانت إعلامية فقط...»[42].

---

(41) سلوبي، ص: 125؛ وشيركو. **القضية الكردية**، ص 100.

(42) The Emergence of the Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion. p. 128.

كما أنّ الكاتب (عثمان علي) قضى فترة في لندن وقام بفحص العديد من الملفات البريطانية الموجودة في دائرة الوثائق الملكية البرياطانية (Public Record Office) حول حركة الشيخ سعيد، ولم يجد أيّ أثر لوجود علاقة بين الشيخ سعيد والإدارة الإنجليزية في العراق، وإنّ الوثائق الموجودة تبيّن أنّ الإنجليز كانوا يراقبون الأحداث عن كثب، ولكنّ العديد من المذكرات المتبادلة بين المسؤولين الإنجليز في كل من استنبول وبغداد ولندن، حول أحداث حركة الشيخ سعيد، تبدي عجز المسؤولين المذكورين عن تقييم الدوافع الحقيقية للثورة. كما أبدى المسؤولون الإنجليز استغرابهم للادعاءات التركية، حول وجود علاقة بين الشيخ سعيد والإنجليز. فمثلاً اختلقت الصحافة التركية الرسمية قصة السيد تامبلون وعلاقته بالسفارة البريطانية في استنبول، والقادة الكرد.

واستناداً إلى الرسالة السرية الموجّهة من لندسوي، السفير الإنجليزي في تركيا، إلى السيد جوزيف شامبرلين وزير الخارجية البريطانية بأنّه ليس هناك شخص باسم «تامبلون» كما تبدي الرسالة المذكورة استغرابها عن قيام المسؤولين الترك باختلاق هذه المزاعم. ويضيف السفير البريطاني: أنّ الصحافة التركية لم تقدّم حتى الآن أيّ دليل ملموس، حول التورط البريطاني. وإنّ كلّ ما فعلته الصحافة التركية هو إيراد بعض الحوادث عن علاقة الكرد بالإنجليز في الأعوام 1921 ـ 1922؛ وفي تلك الفترة كان الإنجليز فعلاً يدرسون تأسيس دولة كردية. أمّا اليوم (1925 ـ الكاتب) فإنّ حكومة جلالة الملك تفكر بطريقة أخرى، ولا تدعم دولة كردية مستقلة[43].

وفي لقاء بين السيد لندسوي، السفير البريطاني في أنقرة، ورئيس أركان القوات التركية عبّر السفير البريطاني عن امتعاضه الشديد، لما تردده الصحافة التركية حول الاتهامات الموجّهة للإنجليز، في دعمهم للشيخ سعيد. وكان ردّ رئيس الأركان التركي هو أنّ القيادة التركية لا تأخذ هذه الإشاعات محمل الجدّ[44]. ومن اللافت أنّ التصريحات التي أطلقها عصمت أينونو حول حركة

(43) F.O. 371/262 No. 468, Constantinopole Quoted in Simsir, pp. 63-64.

(44) F.O. 371/1086, No. 1, March 9, 1925, Lindsay to Austen Chamberlain.

الشيخ سعيد لم تتجرأ على تسمية الإنجليز بالاسم. إذ اقتصر أينونو على الادعاء أنّ: «هناك قوى أجنبية متورطة مع الشيخ سعيد».

وكما توّصل العديد من الكتّاب الترك في دراساتهم الحديثة، عن حركة الشيخ سعيد، إلى ما توصل إليه د. روبرت أولست، وهو أنّه لم يكن هناك أيّ ارتباط بين الإنجليز وقادة ثورة بيران.

حيث يذهب ميم كمال أوكة، الكاتب القومي التركي، إلى القول بأنّ الإنجليز كانوا قلقين جداً على ثورة الشيخ سعيد، وظنوا أنّها مسرحية دبرها مصطفى كمال، بالتعاون مع القادة الكرد؛ وذلك لإعطاء الحكومة التركية غطاء الغزو لولاية الموصل(45).

والحقيقة التي يجب ألاّ تغيب عن بالنا والتي تؤكّدها الوثائق البريطانية أنّ الإنجليز كانوا قلقين جداً، من تبعات حركة الشيخ سعيد. لأنّ السياسة البريطانية في فترة ما بعد اتفاقية لوزان (تموز 1923) كانت تهدف إلى احتواء الخطر الشيوعي الممثل بروسيا السوفيتية والأحزاب الماركسية الشرق الأوسطية، المتحالفة مع الدول. واقتضت هذه السياسة قيام الحكومة البريطانية، بدعم الحكومات المركزية القومية، في كلّ من تركيا وإيران والعراق، لتكون بمثابة سدّ أمام الزحف الشيوعي المهدّد للمصالح البريطانية، في مضايق الدردنيل والخليج الفارسي.

لذلك كانت السياسة البريطانية، في الفترة ما بعد لوزان، تجاه الكرد، مبنية على إعطائهم حقوق ثقافية محدودة ضمن العراق، ودعم جهود الحكومات الإقليمية في قمع الحركات القومية التي كانت تطالب بالاستقلال، والتي كانت وفق التصور البريطاني عاملاً لعدم الاستقرار في الشرق الأوسط(46).

ويقدم لنا الكاتب التركي عمر كوركجو أغلوا تفسيراً معقولاً، لعدم رغبة

(45) Musul-Kürdistan Sorunu, 1918-1920 (Istanbul Iz Yayin, 1925), pp. 280-282.

(46) Air 23/411, Desp. No. 30254, Baghdad, Oct. 21-1926; F.O. 371/ 11480-Desp. N. S. B/ 724 Criminal Investigation Department, AUG. 21-1926.

بريطانية في تأييد حركة الشيخ سعيد؛ إذ يعتقد كوركوجو أغلوا أنّه، على الرغم من وقوع صراع مرير بين بريطانيا والحكومة التركية حول ولاية الموصل، في أثناء وقوع حركة الشيخ سعيد، فإنّ الإنكليز امتنعوا عن تأييد الحركة الكردية، لقناعتهم بأنّ تركيا الكمالية كانت تسير بخطى وئيدة نحو الحداثة الغربية، وكما أنّ مصطفى كمال سبق أن وعد بعدم تأييد تركيا للحركات التحررية الإسلامية المعادية لبريطانيا.

ويضيف كوركجو أغلو: «أنّ بريطانيا كانت غير راغبة بتفكيك تركيا، أو خلق حالة سياسية صعبة لمصطفى كمال من الممكن أن تدفعه إلى التحالف مع الروس. وإنّ الإنجليز قد عانوا الأمرين في التعامل مع القادة الكرد، في شمال العراق، خاصة الشيخ محمود الحفيد الذي تمرّد ضدّهم، مرات عديدة. لذلك، في عام 1925، اقتنع الإنكليز بأنّه ليس هناك جدوى من دعم القادة الكرد الانفصاليين...»[47].

وفي الواقع نجد في الوثائق البريطانية صدى وتأكيداً لما ذهب إليه كوركجو أغلو. ففي آذار 1925، كتب لندسوي مذكرة إلى وزير الخارجية البريطانية واصفاً فيها انطباعه عن حركة الشيخ سعيد، قائلاً: «إنّ الكرد شعب متخلّف ومتعصّب للخلافة؛ وإنّهم سذّجٌ، يمكن أن يستخدموا بسهولة. وإنّ مصطفى كمال، على الرغم ممّا بيننا وبينه حالياً، رجل عصريّ، وأنّه اقتدى بالغرب، وهو مصرّ على عملية الحداثة. وأنّ تركيا عامل استقرار وحاجز قوي بوجه البلشفية (الشيوعية ـ الكاتب)، لذلك ليس أمامنا إلا دعمه. وإنّ حركة الشيخ سعيد هي حركة القوى الرجعية والظلامية، وإنّ نجاحها لا يحمد عقباه، خاصة وأنّها تريد إعادة الخلافة العثمانية...»[48].

وفي لقاء تاريخي فريد من نوعه، لمجلة (جيرشيم) التي كان يصدرها

---

(47) Omer Kürkocoglu. Türk-Inglis Iliskileri-1919-1926 (Ankara University, Basim Evi, 1978), pp. 311-13.

(48) Documents on British Foreign Policy, Ser. Vol. 1-819, Feb. 8, 1926. Desp. No. 570 memo by R. Lindsay- U. S. Confidential, Stat Department, "The Uprising in Kurdistan" No. 371. Allepo- Syria -March, 3, 1925.

الطلبة والشباب الكرد في استنبول، مع الأستاذ عبدالملك فرات، حفيد الشيخ سعيد والنائب السابق لحزب الرفاه عن أرضروم، يقول الأستاذ فرات: «بأنّ الإنجليز لم يكتفوا فقط بعدم دعم حركة الشيخ سعيد، بل قدّموا كلّ الدعم للحكومة المركزية لقمعها؛ وإنّني أمتلك الكثير من الأدلة لتأكيد ما أقول، ولكن الظروف السياسية الحالية لا تسمح بذلك»[49].

وجد المؤلف في بحثه في الوثائق البريطانية في لندن، ما يؤكّد رأي الأستاذ عبدالملك. كما قلنا فيما مرّ سابقاً، بأنّ الإنجليز كانوا يراقبون الأحداث بدقة. وكما عبّروا عن قلقهم تجاه تطور الأحداث في المنطقة الكردية. لذلك نلاحظ وقوع العديد من اللقاءات الاستشارية بين السفير البريطاني في استنبول والمسؤولين الترك، لدراسة تطورات حركة الشيخ سعيد. وكما التقى السيد ج. هارنك، الملحق العسكري البريطاني في استنبول، القادة العسكريين الترك، ونصحهم بأفضل السبل لإنهاء المقاومة الكردية[50].

على الرغم من أنّ الإنجليز لم يتدخلوا مباشرة لدعم مصطفى كمال، ضدّ حركة الشيخ سعيد، وذلك لوجود النزاع القائم بينهم آنذاك حول ولاية الموصل، إلاّ أنّهم لم يعترضوا على الدعم الذي قدّمته الإدارة الفرنسية في سورية، للقوات الكمالية، باستخدام خط سكك الحديد (بغداد ـ برلين) من داخل الأراضي السورية، لإرسال قوات تركية، لمحاصرة المجاهدين من الخلف[51].

يتجلّى الموقف البريطاني المعادي لحركة الشيخ سعيد، وبكل وضوح، بعد هروب بعض قادة الحركة والتجائهم إلى المناطق الواقعة في كلٍّ من إيران والعراق، الواقعين تحت نفوذ الإدارة البريطانية، آنذاك. فحال عبور الشيخ مهدي، أخي الشيخ سعيد، إلى داخل كردستان العراق اعتقلته السلطات البريطانية، ومنعته من الاتصال بالقادة الكرد في المناطق الحدودية، واعتقل لفترة في بغداد[52].

---

(49) Girişim, No. 4, 1984.

(50) F.O. 371/10867, No. 1 March 4, 1925, Mr. Lindsay to Austen Chamberlain.

(51) F.O. 371/10867, No. 1 March 9, 1925, Mr. Lindsay to Austen Chamberlain.

(52) Air 23/411, No. S. C. 1618. Baghdad. July 22. 1926.

وبتوجيه من الإنجليز، أقدم رضا شاه على مذبحة مروعة بحق ما لا يقل عن 100 من قادة المجاهدين الذين اضطروا إلى العبور، إلى داخل الأراضي الكردية في إيران في منطقة سالماس. ونجا الشيخ علي رضا (ابن الشيخ سعيد) من هذه المذبحة، بأعجوبة، وأودع في السجن لفترة، ثم أطلق سراحه[53].

وفي 23 آب، 1925 أرسل القنصل البريطاني في تبريز (مدينة آذرية في شمال غرب إيران) رسالة إلى السفير البريطاني في طهران، مبيناً فيها طلب علي رضا لزيارة بريطانيا، لتقديم تصوّر الكرد حول أحداث ثورة بيران. كما أبدى علي رضا في هذا اللقاء مع القنصل البريطاني استعداد القادة الكرد، للتعاون مع الإنجليز في حال قيام الأخير بدعم جهودهم، لتأسيس دولة كردية مستقلة. ففي تشرين الأول ردّ السيد لوراين، السفير البريطاني في طهران على رسالة قنصله في تبريز، قائلاً: «بلّغ الشيخ علي رضا أنّ الحكومة البريطانية لديها معرفة كاملة بأحداث الثورة، وفيما يخص الكرد حالياً، فلا داعي لزيارته إلى لندن، كما نبلغكم أن توضح للقادة الكرد أنّ حكومة جلالة الملك لا تؤيد أيّ مشروع لدولة كردية مستقلة، أو حتى مشروع الحكم الذاتي»[54].

ويورد الأستاذ أولسن وثيقة في كتابه الشامل، عن حركة الشيخ سعيد، يبيّن فيها موقف الحكومة البريطانية من حركة الشيخ سعيد. استناداً إلى هذه الوثيقة في 8/ نيسان عام 1926 أي بعد القضاء على الثورة بعام، وفي مناسبة توقيع بريطانيا وتركيا والعراق على اتفاقية للتعاون وحسن الجوار، خاطب السيد لندسي عصمت أينونو، رئيس وزراء تركيا آنذاك، قائلاً:

«لو كنّا نريد إثارة المشاكل لتركيا، كان بإمكاننا نقل شرارة الثورة (حركة الشيخ سعيد ـ المؤلف) إلى بقعة واسعة من الأراضي التركية، ولكننا لم نفعل ذلك، ويجب أن تعرف ذلك. وقال لندسي له (عصمت باشا ـ الكاتب): هل تتذكر ما قلته لك في 8 آذار عام 1925؟ قلت لكم حين كانت الثورة الكردية في

---

(53) Girişim, No. 4, 1989.

(54) F.O. 371/108. 35, E 6730/193/65. No. Persia Nov, 3, 1925, Percy Loraine to Austen Chamberlain.

أوجها بأنّ تركيا ستسحق الثورة قريباً وأنّكم ستعتقلون العديد من المتمردين، وستحققون معهم، ولكن أقولها لكم مقدّماً، سوف يتبيّن لكم، وبكل يقين، أننا لا نتدخل في الثورة الحالية، والآن (1926 ـ المؤلف) هل وجدتم أيّ أثر لتدخلنا في حركة التمرد؟... بعد أن أقحم عصمت باشا بهذه الأسئلة، ظلّ مبهوراً، ولم يستطع أن يقدّم دليلاً يثبت تورطنا في الحركة الكردية»[55].

لهذه الأسباب التي ذكرناها آنفاً، كانت في علاقة الإنكليز بحركة الشيخ سعيد إشكالية خلقها الإعلام التركي، لإثبات التصور الرسمي للحكومة حول الأحداث، ولم تكن تستند على أدلة ملموسة، لا من الوثائق البريطانية، ولا الحكومة التركية التي لم تستطع أن تقدم أيّ دليل معقول وملموس على ادّعائها.

كما أنّ الإشكالية التي أحاطت بالأسباب الحقيقية لحركة الشيخ سعيد كانت منبعثة، إلى حدٍ ما، من المنهجية الغربية في التعامل مع الثورة الكردية التي استعملها العديد من الكتّاب (الكرد وغيرهم). إذ إنه من البديهي أن يكون استعمال الأدوات والمفاهيم الغربية الحديثة، في تقييم حدث وقع في رحم مجتمع غير غربي، نتائج غير علمية، وأحياناً متناقضة. فمنهم من قال بأنّ الحركة كانت حركة رجعية (إسلامية) واستخدم الكرد فيها لتحقيق مصالح القوى الدينية المحافظة، ومنهم من قال إنّ الحركة كانت قومية بحتة، فاستغلّت الدين ورموزه، لتحقيق مصالح قومية لا دينية[56].

إنّ هذه النتائج المتناقضة التي توصّل إليها الباحثون، كانت إلى حدٍ ما نتيجة للمنهجية الغربية. لأنّ الدين والقومية مسألتان متناقضتان، ضمن مجموع القيم في الحضارة الغربية. وتعود جذور هذه المسألة في الفكر الغربي إلى أيام الإغريق. حيث أنّ هناك صراعاً دائماً بين الإله والبشر، وبالتالي الدين

---

(55) The Emergence of the Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion, p. 130.

(56) Kendal "Kurdistan in Turkey" in People Without A Country, ed. Gerard Challiand, (London, Zed Press, 1993); B. Lewis. The Emergence of Modem Turkey (London, 1961); Blanco V. G. Atatürk (London, 1964);

والحرية. وكان للدين والكنيسة عندهم تاريخياً عامل معرقل في نمو الحرية والعلوم ونمو الدول القومية. ولكن لم يكن للإسلام ومجموعتها القيمية، ضمن الحضارة الإسلامية، هذه الثنائية. فالإسلام هو وئام بين الإله والبشر أنفسهم، وبين الإنسان والبيئة، وبين العلم والعقيدة، وبين الحرية والدين. ولم يكن للإسلام الأثر السلبي في نمو الشعوب وظهور الخصائص القومية الخاصة، ضمن الحضارة الإسلامية العامة.

إنّ الحضارة الغربية المبنية على المركزية العرقية (الجنس الأبيض الأنكلو سكسوني) والمركزية الجغرافية [وأوروبا الحضارية في صراع مع غيرها من الحضارات التي أسمتها بـ(البربرية) ليست بقادرة على فهم المميزات الحضارية للشعوب الأخرى، فهماً حقيقياً؛ بعكس الحضارة الإسلامية التي ليست لها مركزية عرقية؛ لذلك فليس من الغريب أن نرى أنّ العرب هم سادة المسلمين في عصر الرسالة، وعصر الخلفاء الراشدين والأمويين، ثم تنتقل السيادة إلى العنصر الفارسي أيام العباسيين؛ فالعنصر التركي أيام السلاجقة، والعثمانيين والعنصر الكردي أيام الدولة الأيوبية. ومنذ نهاية العصر الأموي، وحتى نهاية الدولة العثمانية كان للكرد دور بارز في مراكز السلطة الرئيسية في بغداد واستنبول وفي إماراتهم المستقلة في كردستان.

إنّ الجمع بين رغبة الكرد في التحرير من الظلم القومي الذي لحق بهم، نتيجة السياسة العنصرية للدول التي تحكم كردستان، وبين حميتهم الإسلامية، ليس مسألة جديدة في التاريخ الكردي المعاصر. فبما أنّ عقيدة الغالبية العظمى من هذا الشعب هو الإسلام، فمن البديهي أن تعبّر عن نفسها وذاتها المظلومة بالإسلام، بما يملك هذا الدين من ذخيرة ورصيد غني في الكيان الكردي. فالإسلام يحثّ على الحرية والثورة على الطواغيت من البشر. لذلك فليس من الغريب أن نجد أنّ معظم قادة الحركات الكردية في القرن التاسع عشر، كانوا من القادة الدينيين. وتستمر هذه الظاهرة إلى أيامنا هذه.

إنّ خطبة الشيخ عبيد الله النهري في آب 1881 في ناوجيا (كردستان تركيا) تجسّد هذه الحقيقة بكل وضوح؛ حيث خاطب رؤساء الكرد قائلاً: «إنّ أجدادنا

لم يقبلوا الظلم، وإنّنا اليوم ننتفض للدفاع عن حقوقنا المهضومة، وإسلامنا الذي يتعرّض للخطر»[57].

وكما أنّ أحد مطالب الشيخ عبد السلام البارزاني في حركته (1908 ـ 1914م) هو إزالة الظلم الواقع على الكرد من حكم الاتحاديين، وتطبيق الشريعة الإسلامية في المنطقة الكردية.

وكما أشرنا إليه، فيما سبق، أنّ العقيد خالد بيك جبراني، مؤسس آزادي ورئيسها، كان من ضباط الألوية الحميدية الكردية التي عملت للدفاع عن سياسة الجامعة الإسلامية، للسلطان عبد الحميد، وظلّ خالد بيك جبرانلي، رجلاً مؤمناً ومخلصاً للسلطان عبدالحميد إلى يوم استشهاده. لذلك ليس من المستغرب أن نجد أنّ أحد المطالب التي قدّمتها آزادي في مؤتمر دياربكر في آب 1924 للحكومة التركية كان إعادة فتح المحاكم الشرعية في كردستان.

ويجب أن ننظر إلى حركة الشيخ سعيد، ضمن هذا السياق التاريخي الخاص بالكرد. إذ أنّ الانتفاضة التي قادها الشيخ سعيد هي امتدد طبيعي وشرعي للحركات الكردية التي سبقتها. لا يستبعد الأستاذان أولسن وبرونسنان أن يكون في نيّة الشيخ سعيد تأسيس دولة كردية. ويؤكّد الأستاذان المذكوران وجود الحسّ الإسلامي عند الشيخ سعيد وزملائه من قادة الثورة، ويصف الأستاذ أولسن الإدارة المؤقتة التي أسّسها الشيخ سعيد في قرية غينج بـ«دويلة الخلافة في غينج»[58]، كما وردت، في مصادر عدّة، الإشارة إلى وجود علاقة بين الشيخ سعيد ودعاة الخلافة في الخارج، وبالتحديد محمد سليم أحد أبناء السلطان عبدالحميد، الساكن آنذاك في بيروت[59].

ولكن الكاتب لم يجد الدلائل المؤكّدة على وجود ارتباط وثيق بين الشيخ

---

(57) Jwaideh, pt. 1, pp. 283.

(58) Agha, Shaikh and State, pp. 404-405. The Emergence of Kurdish nationalism, pp. 108.

(59) FO-371/10867 Desp. No. 1, March 9, 1925.

سعيد وأيّ طرف من الأطراف الخارجية، ورفض الشيخ سعيد في شهاداته أمام المحكمة وبإصرار، وجود أيّ ارتباط بينه وبين القوى الخارجية. ولكن يحتمل أنّ قيام علي رضا، وفي أثناء سفره إلى حلب كان بغرض الاتصال بالأطراف القومية الكردية، أو بدعاة الخلافة. ولكن الوثائق البريطانية التي جمعها الباحث التركي بلال شمشير عن الشيخ سعيد، وكذلك تلك التي اطّلع عليها روبرت أولسن والمؤلف، لم يثبت في أيّ منها وجود أيّ اتصال بين الشيخ سعيد والأطراف الخارجية.

على الرغم من إصرار الشيخ سعيد على عدم وجود تخطيط مسبق للثورة، فإنّ الكاتب محمود بايراك حصل على وثيقتين تكشفان عن وجود نوع من التخطيط بين القيادات الكردية التقليدية (رؤساء العشائر والشيوخ) للقيام بعمل مسلح، ضدّ الحكومة التركية. إنّ محتوى هاتين الرسالتين يقطع، بما لا شكّ فيه، أنّه في الفترة من كانون الثاني إلى شباط 1925 تجوّل الشيخ سعيد بين القبائل الكردية، وحثّهم على القيام بثورة ضدّ الحكومة. وكانت نتيجة إحدى هذه الجولات التوقيع على اتفاقية (تعهد نامة) بين عدد من رؤساء العشائر والشيوخ، في ولاية غينج للقيام بحركة مسلحة. ونص (التعهد نامة) هو:

«نظراً لقيام الحكومة التركية باتخاذ مجموعة من الإجراءات المعادية للإسلام وخاصة عداءهم وتحقيرهم وظلمهم لمحبي الإسلام، من الشخصيات الإسلامية الكردية المرموقة، وبما أنّ الحكومة التركية تفكر بمعاملة قادة الكرد معاملة مماثلة لمعاملتهم للأرمن، ومناقشتهم لهذه المسألة في مجلس المبعوثان، بطريقة تنمّ عن عدائهم لقادة الكرد، وأخيراً إنّ قيامهم بإبعاد العديد من القيادات الكردية بدون حق، وانطلاقاً من الصلابة الإسلامية في إيماننا واعتزازنا بكرديتنا، نحن الموقعين أدناه قرّرنا تشكيل جمعية إسلامية كردية، ستسعى لتحقيق دولة إسلامية مستقلة. آمين».

علماً أنّ هذه الرسالة وجدت في حوزة الشيخ عبد الرحيم، في أثناء تفتيش قوات الأمن التركية لبيته، ووجدت نسخة أخرى لها مع أحد المجاهدين بعد استشهاده، ووقوع جثته، بيد قوات الأمن، وإنّ هذه الرسالة غير مؤرّخة

ولكن يقطع بايراك بكونها كتبت قبل وقوع الانتفاضة[60]. ولعلّ هذا ما أشار إليه الملا حسين حين ذكر اتفاق رؤساء العشائر الكردية في غينج، على محاربة الحكومة؛ ولكن الملا حسين اعتقد خطأ أنّ ذلك الاجتماع كان لفرع آزادي في المنطقة.

إنّ دراسة متأنّية لمحتوى هذا «التعهد نامة» يثبت لنا أنّ حركة الشيخ سعيد لا تختلف عن الحركات الكردية التي سبقتها، وذلك في جمعها بين مظلومية الكرد والدفاع عن الإسلام.

ولكن الأستاذ برونسن وضع الحركة في إطارها العام والصحيح، حين عدّها جزءاً من الحركات الصوفية الجهادية المعادية للاستعمار. إذ شبّه برونسن حركة الشيخ سعيد بالحركة السنوسية المعادية للاستعمار الإيطالي، في المغرب العربي. ففي كلتا الحالتين استعملت الحركة الصوفية كوعاء، لاحتواء المقاومة وتوجيهها ضدّ العدو المغتصب للحقوق[61]. ويعطي الأستاذ عبدالملك فرات، في المقابلة المذكورة، التصوّر نفسه، في تقييم حركة جدّه الشيخ سعيد: «وإن حركة جدّي كانت شبيهة بالحركات الإسلامية المناوئة للاستعمار كالحركة السنوسية في ليبيا، والحركة المهدية في السودان، وحركة الخلافة في الهند. ولكن الفرق بين هذه الحركات وحركة الشيخ سعيد أفندي أنّ الأول كان موجّهاً ضدّ الاستعمار المباشر، في حين كانت حركة الشيخ سعيد موجّهة ضدّ الاستعمار الجديد التركي، والذي تجسّده حكومة مصطفى كمال اللادينية الغربية[62].

الشيخ سعيد هو خير من يعبّر عن نفسه، في هذه الخطبة التي ألقاها في قرية بيران في بداية الانتفاضة وذلك في 13 آذار 1925:

«... إنّ حكومة أنقرة ألغت المدارس الإسلامية، والإدارات والمؤسسات المتعلّقة بالإسلام، وخاصة الأوقاف؛ وربطت تلك المدارس بالمدارس القومية

---

(60) Bayrak, pp. 401-402.

(61) Agha, Shaikh and the State, pp. 404-405.

(62) Girişim, No. 4, 1989.

الحديثة. وفي هذه الأيام بدأ بعض الملحدين يطاولون اللسان على الدين والرسول الكريم. فأني سأبدأ الجهاد، إذا استطعت، ولن أدّخر جهداً في هذا، إن شاء الله»[63].

النتائج والعبر

كان لثورة الشيخ سعيد نتائج هامة، على تاريخ الحركة القومية الكردية، والحركة الإسلامية في تركيا. إنّ انهيار الثورة ووقوع كردستان تحت حكم حراب القوات الكمالية. كانا إيذاناً ببدء مرحلة حرجة وصعبة جداً، في تاريخ الكرد في كردستان الشمالية.، مع إنتهاء ثورة الشيخ سعيد بدأت حرب الإبادة المنظمة في كردستان الشمالية. حيث دخلت المنطقة تحت الأحكام العرفية، من ذلك اليوم (وإلى الوقت الحاضر). وكان من أهم مظاهر هذه السياسة الإرهابية تشكيل ما سمّي في حينه بـ(محاكم الاستقلال) التي كانت تنتقل بين المدن الكردية، وتحكم بالإعدام على العشرات، كما أنّ القوات الكمالية العسكرية تحوّلت إلى كلاب سائبة إذ بدأت تفتك بالأخضر واليابس، وتنشر الرعب بين القرويين المدنيين الكرد، وذلك من خلال الاعتقالات العشوائية، ومصادرات الأموال المنقولة وغير المنقولة، وأصبحت مشاهدة الآلاف من القرويين النازحين من قراهم، المهدمة على رؤوسهم، من المناظر اليومية المألوفة في كردستان الشمالية في السنين (1925 ـ 1931م)، وكان ضباط الكماليين الترك ينهبون أثاث المنازل والمحاصيل الزراعية وحتى المواشي، ويبيعونها في المزادات العلنية في المدن التركية[64]. فضلاً عن كثير من المظاهر غير الإنسانية، كرؤية آلاف الناس من الأبرياء المدنيين الكرد يجبرون على السير على الأقدام، في ظروف مناخية قاسية جداً، لتفتك بالمئات منهم، قبل أن يصلوا إلى المناطق المخصصة لهم في غرب تركيا، هذه المظاهر حرّكت، حتى، بعض الضمائر الميتة عند بعض القوميين الترك، من أمثال الدكتور رضا نور الذي أدان هذه العمليات في مذكراته، ووصفها بالوحشية. ليس هناك

---

(63) Girişim, No. 4, 1989.

(64) شيركو، ص 104؛ سلوبي، ص 125-127.

إحصائية دقيقة عن عدد القتلى والجرحى والمشردين والمعتقلين ولكن كان الضحايا بالألوف، إذ أصبح الشعب الكردي بكردستان الشمالية مستهدفاً، في وجوده، وتعرّض لحملة إبادة منظمة وواسعة[65]. ومن الجدير بالذكر أنّ المسؤولين الكماليين لم يخفوا نواياهم النازية، في إبادة الكرد. ففي نيسان 1925 خطب عصمت أينونو (الكردي المتترك ورئيس وزراء تركيا) أمام النادي القومي التركي قائلاً:

«بصراحة نحن قوميون... والقومية هي العامل الوحيد الذي يجمعنا كأمة، وأنّ هذا الشعب يتكون من أغلبية تركية، وهي التي يجب أن تكون السيد، وما على الآخرين إلا الطاعة. ويجب علينا تتريك القوميات الأخرى، وبكل السبل الممكنة، وإبادة من يقاوم سياسة التتريك؛ نحن ملزمون بخدمة الوطن جميعاً، وكأتراك ليس أكثر، إننا سنسحق الذين يستخدمون الدين ضدنا»[66].

وفي لقاء له مع هنري دوبس، المندوب السامي البريطاني في العراق، في تشرين الثاني 1927، وصف توفيق سراج أوغلو (وزير خارجية تركيا آنذاك) الكرد بالعبارات التالية:

«إنّ الشعب الكردي شعب بدائي ومتخلّف وغير قادر على التطور الحضاري، لدرجة يكاد معها أن يكون من الصعب دمجهم في الدولة التركية العصرية، أو التنافس مع الترك المتفوقين عليهم حضارياً وعقلياً واقتصادياً. وإنّ كثيراً منهم سيضطرون في المستقبل إلى الهجرة إلى إيران والعراق، وما بقي منهم سينقرض أو ينصهر في المجتمع التركي، وهذه نتيجة حتمية في قانون الصراع حيث يكون البقاء للأقوى، لذلك فإنّ مصيرهم لن يختلف كثيراً عن مصير الأرمن، أو الهنود الحمر في أمريكا»[67].

---

(65) F.O. 371/10863, R. Lindsay to Austen Chamberlain No. 1 Des. 1, 1925.

(66) F.O. 424/262, No. 331 Lindsay to Austen Chamberlain No. April 28-1925, Cited Şimşir, pp. 97-98.

(67) F.O. 424/265, Desp. No. 21 Angora, Cited Şimşir, pp. 98-99.

ومن الجدير بالذكر أنّ حملات الإبادة، هذه، كانت تجري على مسمع ومرأى القوات الغربية كبريطانيا وفرنسا. وإنّ الدولتين المذكورتين كانتا تمدّان نظام مصطفى كمال بالدعم الاقتصادي والسياسي في المحافل الدولية، ولم يحركا إصبعاً لإيقاف هذه المجازر الرهيبة، ولكن ظلّت النخبة المتغربة بين الكرد تنخدع بشعاراتهما ومفاهيمهما المتعلّقة بحقوق الإنسان، وحق الشعوب في تقرير مصائرها.

إنّ الوثائق البريطانية والفرنسية المتعلقة بالشرق الأوسط في فترة العشرينيات تبيّن وبكل وضوح أنّ الفرنسيين والإنكليز كانوا مطلعين على تفاصيل حرب الإبادة في كردستان، ولكن فضلوا السكوت؛ لأنّ مصطفى كمال كان بالنسبة إليهم، آنذاك حصان طروادة في مقاومة المدّ الشيوعي. وما أشبه اليوم بالبارحة (الأمس) حملات الأنفال السيئة الصيت (1986 ـ 1988م)، التي كانت هي الأخرى حرب إبادة جماعية في كردستان الجنوبية نفذها صدام حسين ومعاونوه المجرمون، بمباركة أكثر العرب ودعمهم له آنذاك، لأنّ صدام حسين كان أيضاً حصان طروادة بالنسبة إلى الغرب، في ضرب الإسلام في إيران والعراق.

إنّ انهيار حركة الشيخ سعيد آذنت بانتهاء مرحلة، وبداية مرحلة أخرى جديدة، في تاريخ الحركة الكردية، إذا انتهى معها دور شيوخ الطرق الصوفية كقيادة تقليدية للكرد، إلى حدٍ كبير، والتي دامت أكثر من مئتي عام، وبدأت الأنتليجنسية (المثقفون والضباط العسكريين) تتبوأ مكان الصدارة داخل الحركة، ويمكن ملاحظة بداية هذا التطور في تشكيل خويبون وقيادة حركة آغري داغ (ثورة آرارات).

إلاّ أنّ أهم أثر لحركة الشيخ سعيد والإجراءات القمعية التي واكبتها، كان حدوث ثغرة كبيرة في صرح الأخوة الإسلامية، بين الكرد والترك، علماً أنّ هذين الشعبين قد عاشا لمئات السنين تاريخاً مشتركاً، اختلطا اختلاطاً اجتماعياً وسياسياً كبيراً، وكما ساهما في بلورة الحضارة الإسلامية أيام العثمانيين. ولكن صرح الأخوة الإسلامية، بدأ في عهد حزب الاتحاد والترقي الماسوني (1909 ـ

1918م) يتشقّق، نتيجة للسياسات العنصرية للاتحاديين تجاه العناصر غير التركية. أدّت ثورة الشيخ سعيد وحملة الإبادة التي تعرّض لها الكرد بعد فشل الثورة، إلى توسيع الفجوة بين الشعبين، وحدوث شروخ خطرة في علاقات الأخوة بينهما فحملات الإبادة الجماعية وسياسة الصهر بالقوة أيقظتا الشعور القومي عند الكثيرين من الكرد. فالحس القومي كان، قبل ثورة الشيخ سعيد، محصورا بًالنخبة المغتربة، والذين كانوا يعيشون بصورة عامة خارج كردستان؛ لذلك كانت الإجراءات العنصرية لحكومة مصطفى كمال إجراءات مساندة، لجهود الإنكليز والفرنسيين في زرع الفكر القومي العلماني بين الكرد، وتحول كورديه تي من محتواه الإسلامي إلى محتوى علماني.

يقول قدري جميل باشا، أحد رواد الفكر القومي في العشرينيات: «رغم أنّ التهجير القسري من كردستان أدّى إلى خسارة مادية وبشرية كبيرة، إلاّ أنّه جلب فائدة كبيرة لبلورة الوعي القومي. وأعتقد أن الوطنيين الكرد لو صرفوا الملايين لما قدروا على تحقيق هذه النجاحات المهمة، ولن أبالغ حينما أقول، إنّ هذه السياسة القاسية بحق الكرد، قوّت من وعيهم القومي وأسرعت بنضجه، وقدّمته على أقل تقدير نصف قرن إلى الأمام»[68]. واستغل الثنائي مصطفى كمال وعصمت أينونو حركة الشيخ سعيد، لتعزيز حكمهما الفردي الاستبدادي. وفي صدر تعليقه على آثار انتفاضة الشيخ سعيد يقول زنار سلوبي: «لقد كانت انتفاضة الشيخ سعيد، بمثابة الوسيلة التي أنقذت مصطفى كمال باشا من الانهيار، فالغازي مصطفى باشا الذي ازداد غطرسة بعد انتصاره في حرب اليونان، لم يعد يولي اهتمامه لرفاقه الذين شاركوه في الكفاح، في تلك الظروف. فقد اتفق كلٌ من قائد الفرسان الحميدية رؤوف بيك... وغيرهم من العسكريين القريبين منه سابقاً، على تأسيس منظمة معارضة تحت اسم (الحزب الجمهوري التقدمي) بقيادة كاظم قره بكر باشا، وبتأييد قطاع واسع من الرأي العام، ووقتها تقلّصت بشكل ملحوظ هيبة وسمعة مصطفى كمال باشا، فأخذ يستغل انتفاضة الشيخ سعيد ليستعيد المبادرة في كيل الضربات للمعارضة، وأراد

(68) سلوبي، ص 128.

إنشاء محكمتين ذات صلاحيات استثنائية في أنقرة وديار بكر لهذه الغاية. . . ومن جهة أخرى عزل أنصار الحزب التقدمي الجمهوري في ظروف استثنائية»[69]. وبحجة حماية البلد من القوى الرجعية وأعوان الاستعمار أمر عصمت أينونو مهاجمة مقر الحزب التقدمي الجمهوري ومصادرة ممتلكاته، واعتقل 22 من قادته البارزين. كما أغلقت حكومة اينونو حزب الاتحاديين واعتقلت 11 من قادته. وتبع حظر الأحزاب المعارضة، مجموعة من الإجراءات القمعية ضدّ الصحافة واتحادات نقابات العمال، وبذلك جرى تثبيت دكتاتورية الحزب الواحد.

يربط الكثير من الباحثين، بين حركة الشيخ سعيد وقيام مصطفى كمال بحملة من الإجراءات التي عدّتها الحكومة محاولة لاستئصال كلّ جذور التخلّف والإقطاعية والنظام القديم (الخلافة). وإنّ هذه الإجراءات كانت في مجملها إجراءات قسرية لمحاربة الإسلام، والرموز والمؤسسات الإسلامية. ففي 30 تشرين الثاني 1925 أصدرت الحكومة قانوناً حظر بموجبه الطرق الصوفية، فأغلقت التكايا، وأعدم العشرات من الشيوخ وعلماء الدين البارزين في كردستان الشمالية. ولم يكن أثر هذه الإجراءات محصورة بالمنطقة الكردية، حيث أعلنت الحكومة مجموعة قوانين مضادة للإسلام، كخطوات جذرية لتغريب المجتمع التركي. ومن أهم هذه القوانين «القانون المدني» الذي أصدر في 4 نيسان 1926، والذي كان مجموعة قوانين منسوخة من القانون المدني الفرنسي والسويسري، ليحل محل قوانين الشريعة في تركيا. وفي 25 تشرين 1925 شرع «قيافة قانون ريفرمي» قانون اللباس المدني الذي حظر الحجاب الإسلامي، وفرض اللباس الغربي على الرجل والمرأة في تركيا. وكما صدر في الأول من تشرين الثاني 1928 «حرف قانوني» بموجب هذا القانون حظر استعمال الحروف العربية، في كتابة اللغة التركية، وقام مصطفى كمال، وبدعم مجموعة من المستشرقين اليهود، صياغة ألف باء لاتينية للغة التركية[70].

---

(69) المرجع السابق، ص 115-116.

(70) David Mcdowal. A Modem History of the Kurds, (London: I-B Tauris, 1996),

إنّ في حركة الشيخ سعيد الكثير من العبر، للحركة الكردية، بصورة عامة. وهي أنّ حلّ المسألة الكردية في الدول التي تدير أجزاء مختلفة من كردستان مرتبط بحل المسألة الديمقراطية في تلك البلدان، وهذا في بقاء تلك الأنظمة القومية. إنّ هذه الثورة ـ وكذلك الثورات التي تلت ثورة الشيخ سعيد وإلى يومنا هذا ـ تظهر بل وتؤكّد لنا أنّه في حالة الصراع بين الكرد والدول القومية، فإنّ الغرب سيقف مع الدول القومية وليس مع الشعب الكردي، لأنّ هذه الدول هي من إفرازات المصالح الغربية. لذلك يتوهم ويخطئ من يتصور أنّ الغرب هو حليف للكرد. وسيظل الوضع على هذا الحال حتى حصول تغيير حاسم في خريطة الشرق الأوسط، وحدوث خلل جدي في الترتيبات التي أحدثتها المصالح الغربية، بعد الحرب العالمية الأولى. ونعتقد أنّ الثورة الإسلامية الشاملة، ضدّ هذه الأنظمة القومية، قد تكون أحد الخيارات لتغيير هذا الواقع، ولكن هذه الثورة تقوم بإعطاء الشرعية لحدود الدول القومية القائمة، والتي لا يعتبر الكرد ملزمين بالتمسك بها عقلاً وشرعاً.

قبل القيام بأية حركة مسلحة، أو المطالبة بإحداث تغيرات سياسية، في الدول التي تتقاسم كردستان، على الشعب الكردي أن يوحّد صفوفه وأن تتهيأ جماهيره (وليس النخبة) لمستلزمات الصراع وتوعيته بكل أبعاده. كما أنّ وجود القائد الملهم (الشيخ أو العالم المجاهد أو أية شخصية تحظى بشعبية واسعة) ضروري جداً لتحريك الجماهير التي بدونه لا يمكنها خوض الصراع. ولكن وجود القائد الملهم يجب أن لا يعمي أعيننا عن رؤية حقيقة أخرى، ألا وهي ضرورة إحداث المؤسسات التي تمكّن القائد من تحريك الشرائح المختلفة، نحو أهداف الثورة، ويجب أن تكون لهذه المؤسسات قدسيتها، واستقلاليتها عن القائد الملهم، فإذا مات أو أسر أو مرض القائد الملهم، قامت هذه المؤسسات بملء الفراغ بالعطاء والديمومة. كانت مشكلة القائد الملهم هي مشكلة الكثير من الحركات الكردية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكثيراً

---

pp. 196-168; Metin Toke. Seyh Sait Ve Isyani, (Ankara, Ruzgarli Matbaasi, 1968), pp. 60-62.

ما نرى أنّ غياب القائد الملهم (أسره أو قتله) كان يؤدي إلى انهيار الثورة، ثم إصابتها بالفشل.

على التيار الإسلامي في كردستان أن يدرك أنّ تجربة الشيخ سعيد، مثال حيّ يبين كيف أنّ مستقبله مرتبط ارتباطاً، لا تنفصم عراه عن الحركات الإسلامية داخل الدول التي تتقاسم إدارة كردستان. وإنّ نجاحها في مجهودها لبناء التجربة الإسلامية في كردستان، مرتبط بمدى علاقتها مع الحركات الإسلامية في المركز (بغداد ـ أنقرة ـ طهران). لأنّه لا يمكن أن تكون كردستان، بما تملك من ظروف ذاتية وموضوعية، قاعدة لبناء الحكومة الإسلامية في المركز.

ولكن على الحركة الإسلامية، في المركز، أن تدرك أنّها لن تستطيع الاستفادة من كردستان، إذا لم تستجيب للمطالب المشروعة للشعب الكردي. وكما أنّ إضعاف الإسلام السياسي أو الإسلام، بعمومه، في كردستان سيكون له آثار وخيمة على المركز، فإنّ إضعاف الإسلام السياسي في كردستان ـ إيران مكّنت القوى العلمانية الشيوعية والقوى الغربية من استغلال مظلومية الكرد، لضرب الإسلام السياسي في إيران. كما أنّ قضاء مصطفى كمال على حركة الشيخ سعيد، مكّنته من ضرب الإسلام بعمومه في تركيا، وبشدّة. ماذا كان يحدث لو نجح الشيخ سعيد في بناء دولة إسلامية في كردستان تركيا؟

هل كان بإمكان مصطفى كمال ضرب الإسلام في عموم البلد؟

وأخيراً هل يمكن القول: إنّ حركة الشيخ سعيد، رغم سلبيتها المذكورة آنفاً، إلاّ أنّها كانت هزّة للنظام الكمالي وتحدّياً كبيراً للنظام الإقليمي السياسي الذي أفرزته اتفاقيتا سايكس بيكو ولوزان. وإنّ هذه الثورة أعلنتها القيادة التقليدية (شيوخ الطريقة النقشبندية ورؤساء القبائل) وليس النخبة الكردية، الأمر الذي يحضّ على ضرورة الاستفادة من جميع الطاقات الكردية، وعدم الاستهانة بأهمية أيّة شريحة من شرائح المجتمع الكردي، أو العمل على عزلها في المشروع الوطني الكردستاني.

محاكمة الشيخ سعيد بإيران أمام محكمة الاستقلال في دياربكر 1925

نشرت وقائع المحكمة كاملة باللغة التركية في مجلة جيرشيم، العدد 4، 1989، التي كان يصدرها طلبة الكرد في جامعة استنبول وقمنا بترجمتها.

سؤال (س): أين درستم؟

الجواب (ج): كانت دراستي في المدارس العلمية الإسلامية، في موش وملازكورد وبالو.

س: هل تعلّمتم هناك في المدارس الدينية أو الحكومية وعلى يد من درستم؟

ج: نعم، تلمذت في المدارس الدينية وكان عمي الشيخ حسين بالو هو أستاذي الاول، ثم درست على يد الشيخ محمد أمين أفندي المفتي في بالو، والشيخ عبد الله في ملازكورد، والشيخ موسى أفندي في خنس.

س: ماذا درست؟

ج: الأنوار، المحرر، النحو، الصرف، المعاني، الإشارة، البيان، البديع، والعقائد.

س: كيف خطرت على بالكم فكرة العصيان؟ وهل كان هناك شيء مشجع عليه أم جاءكم الإلهام؟

ج: لم يصلني الإلهام ولكن تعلّمت من الكتب التي قرأتها أنّه في حالة عدم قيام الحاكم بتطبيق الشريعة، يجب التمرد عليه. فكنت أريد أن أشرح للحكومة تصورنا حول المسألة، وعلى الأقل فيما يتعلّق بتطبيق الشريعة، ولكن الله شاء أنّ نتورط في هذه الثورة التي لم نقدر على الخروج منها، بعد اندلاع الأحداث.

س: قلتم في حالة عدم تطبيق الحاكم الشريعة وجب الخروج عليه، أليس هناك ضوابط لهذه المسألة؟

ج: أعلم بأنّ تطبيق الشريعة واجب، ولا أعلم بوجود الضوابط التي أشرتم إليها.

س: نفهم من هذا إذاً أنّه في حالة وجود زلّة من الإمام، فمن حقّ كلّ إنسان أن يعلن التمرد عليه؟ أليس كذلك؟

ج: لا، ليس هذا ما قلته، ولم يكن في نيتي في البداية التمرد. وقعت تحت وطأة الظروف التي غلبتني، ولا أقول بخروج الناس على الحاكم كيفما شاؤوا، ولكن قلت: الخروج واجب على الحاكم، في حالة تعطيل الشريعة.

س: هل كان إعلانكم العصيان بأنّكم وصلتم إلى قناعة تامة بأنّ تطبيق الشريعة غير محقّق في هذا البلد؟

ج: إنّ الكتاب (القرآن الكريم ـ المؤلف) يؤكّد الخروج على الحاكم في الظروف التي أشرنا إليها أعلاه. وتطبيق الشريعة يعني منع القتل والزنا والمسكرات... الخ. وبحمده كلنا مسلمون، وعليه يجب ألاّ يكون هنا تمييز بين الكرد والترك؛ وحسب اعتقادنا أنّ هذه الامور حالياً متروكة (المقصود هناك التمييز العنصري المخالف للشرع ـ المؤلف) إننا انطلقنا من هذه القناعة، وعلى أساس القرآن الكريم.

س: سماحة الشيخ دعنا من هذه المواضيع، واذكر لنا الأسباب الحقيقية للثورة.

ج: حدثت في بيران واقعة، والتي كانت عبارة عن وقوع اشتباك مسلح، وكان هناك إصابات من الطرفين (الجندرمة والكرد من أنصار الشيخ ـ المؤلف) وقد نسب هذا الحادث إليّ، علماً أنّنا طلبنا وبإصرار من ضباط الجندرمة إطلاق سراح المعتقلين، ولكن الجنود والضباط حلفوا إيْمان الطلاق الثلاثة وأصروا على أخذ المعتقلين بالقوة.

س: هل كنتم تفكرون في العصيان قبل وصولكم إلى بيران؟

ج: نعم، كنت أفكر فيه، ولكن لم تخطر على بالي قيادة حركة مسلحة، كنت أفكر بمفاتحة الحكومة بضرورة مطابقة القوانين الصادرة في هذا البلد لأحكام الشريعة وكنت أنوي إرسال هذه المطالب إلى مجلس (المبعوثان).

س: لماذا لم تستطع مفاتحة الحكومة بالكتابة؟

ج: إذا لم تطبق الشريعة فإنّ الخروج عليها واجب، وحاولت أن أبرئ ذمتي أمام الله في هذه المسألة.

س: ولكن سماحة الشيخ قلتم قبل قليل بأنّ المسلمين أخوة. فهل من الجائز أن نحرضهم على قتال بعضهم بعضاً؟

ج: إنّ المؤمنين أخوة في الدين ولكن يمكن محاربة الإمام في بعض الظروف، هكذا يقول القرآن.

س: ولكن كيف يمكن تشجيع المسلمين على القتال بينهم، طالما هم أخوة في الدين؟

ج: ألم يكن الذين حاربوا علياً أخوة له في الدين؟ فالقتال، إذاً يحدث أحياناً بين الأخوة في الدين.

س: تفضلتم بالقول إنّ الجهاد واجب في الظروف المذكورة أعلاه. ولكن ما موقف الجهاد حين يسيطر الكفار على أراضي المسلمين، وتنتهك حرمة القرآن؟

ج: الجهاد واجب في تلك الحالة أيضاً.

س: حين سيطر اليونانيون على كافة أراضي هذا البلد، لماذا لم تذهب أنت وأربعة آلاف من رجالك إلى الجبهة؟

ج: في ذلك الوقت كنّا مشتاقين جداً للذهاب إلى الجبهة، ولو كنّا نملك فرصة لما تأخرنا. أخذنا الاستعدادات ولكنهم قالوا أنهم لا يريدوننا، وعلى الرغم من فقرنا وكوننا مهاجرين، لم نكن ندخر جهداً لو طلب منا ذلك.

س: أين خططتم لهذا العصيان؟ ومن كان معكم؟

ج: لم تكن هناك ترتيبات أولية، حدثت واقعة بيران وتورطنا فيها ولكن حين وصلت إلى ليجة (قرية في غينج) لم أتحدّث مع أيّ إنسان سراً أو جهراً، حول العصيان ولم أتخذ قبل الثورة الاستعداد لها.

س: كم يوماً بعد عودة ابنكم علي رضا، من استنبول، حدث العصيان؟

ج: بعد شهر تقريباً.

س: مع من تحّدث علي رضا، في أثناء وجوده في استنبول، حول العصيان وما هي الأخبار التي جلبها لكم؟

ج: لم يتحدّث في موضوع العصيان في استنبول مع أحد، وحين وصلت إلى أرضروم كنت أتوقع وصول خالد بيك، ولكن لم يأت، فجاء ابنه ممثلاً عنه، وقال بأنّ أباه قد اعتقل، ولم أسمع عن ذلك من قبل.

س: ولكن بعد عودة ابنكم، بدأنا نسمع فجأة الحديث عن الشريعة، أعتقد أنّه قد نقل إليكم شيئاً من استنبول، أليس كذلك؟

ج: نعم قال: إنّه كان في استنبول ضيفاً على أحد الكرد من خنيس، ثم زار السيد عبدالقادر أفندي.

س: لماذا ذهب علي رضا إلى حلب؟

ج: أخذ قطعان من الأغنام، وباعها للتجار هناك.

س: بعد عودة ابنكم من استنبول أين التقيتموه؟

ج: التقيته في شوشر.

س: قلتم بأنّ الجندرمة جاءت إلى القرية، وحدثت الحادثة، هل هذا صحيح؟

ج: لو لم تكن هناك إصابات بين الجندرمة لأمكن أداء واجبنا بصدد الشريعة، من خلال الكتابة إلى السلطات.

س: لماذا حرّضتم الناس على الجندرمة الذين كانوا يؤدّون واجبهم.

ج: لم تكن المسألة متعلّقة بقيام الجندرمة بأداء واجبهم. ولكن وقع النزاع نتيجة إصرار الجندرمة على اعتقال بعض الأشخاص، رغم رجائي بالتريث في ذلك.

س: هل حدث شيء رغم نصيحتك هذه؟

ج: نعم بدأ العراك.

س: هل ما حدث من المعارك كان يستحق أن تحرّض الناس على العصيان؟

ج: تركت القرية، وبعد مغادرتي إيّاها حدث العصيان، وأصبحت على رأس الحركة.

س: حدثت الثورة أم لا؟ ثم قمتم بقيادتها أليس كذلك؟

ج: قبل أن أدخل دارهانية (قرية في غينج) كان الثوار يحاصرونها.

س: لم يكن قدوم الجندرمة هو السبب في حدوث العصيان. هل كان هناك إعلام وتخطيط مسبق له؟

ج: لو لم تقع الحادثة، ولم يكن الجندرمة السبب، كان بالإمكان حلّ الخلاف مع الحكومة، عن طريق الكتابة والخطاب، أو كان من الممكن تأجيل الثورة ستة أشهر، أو سنة، أو قد لا تقع أبداً.

س: إذا كانت حادثة الجندرمة وسيلة لتحقيق تصور ما لكم، فإذا لم يكن هناك الجندرمة، كان العصيان ليقع بعد ستة أشهر أليس كذلك؟

ج: لو لم يأتوا لكان بالإمكان ألاّ يحدث ما حدث، ولكنّ قدّر الله وقع، على الرغم من كلّ شيء.

س: أرى أنّكم ترجعون كلّ شيء إلى القضاء والقدر، ولكن هل يمكن إنكار الإرادة الجزئية هنا للإنسان؟

ج: نعم، هناك مسألة الاختيار، إنّي لا أنكر بأنني إنسان ولي شعور وإرادة، ولست خالياً من كلّ هذا.

س: هل قمتم بالعصيان لوحدكم؟ لا أعتقد ذلك بل كان هناك من يساعدكم؟

ج: لم يكن هناك من يحرّضنا على العصيان، لا من الداخل ولا من الخارج، وأصرّ على أنّه لم يكن هناك دعم أجنبي لنا، وكذلك لم تكن هناك قوّة تركيّة تحركنا بالسرّ أيضاً.

س: نفهم إذاً، من كلّ ذلك أنّ الإعداد للثورة كان محصوراً في ذاتكم.

ج: نعم، كان ذلك في ذهني، وكنت أتمنى أن ألتقي العقلاء والعلماء الأفاضل والوكلاء (المقصود هنا الوزراء في الحكومة) وأناقش معهم الأمر، وأطالب بتطبيق الشريعة ومنافع الدين، وكان الأمل يراودني كثيراً في ذلك.

س: هل قمتم باستشارة العلماء والوكلاء؟

ج: ما قمت بها، لأنّ الحادثة في بيران ما تركت أمامنا فرصة للقيام بذلك.

س: في الرسائل الموقّعة باسمكم، أعطيتم لأنفسكم لقب «أمير المجاهدين» هل يليق للمرء أن يعطي لقباً كهذا لنفسه؟

ج: في البداية عند مخاطبتي للأمراء الذين كانوا تحت إمرتي، كنت أوقّع على الرسائل باسم أمير المجاهدين، ولكن بعد فترة لم أرتح إلى ذلك كثيراً فبدأت أوقّع رسائلي باسم «خادم المجاهدين» لأنّي أصبحت خادمهم.

س: هل شاورتم عقلكم قبل الإقدام على الهجوم على دياربكر من أجل السيطرة عليها؟

ج: لم أكن طرفاً في الهجوم على دياربكر، كان هناك بعض الآغوات الذين كانوا يخططون لاحتلالها.

س: فهمتم الآن بأنكم لم تستطيعوا فتح دياربكر. ولكن السؤال هو ما الذي دفعكم إلى الاعتقاد بأنّ فتحها سهل المنال؟

ج: كنّا نتوقع أن تحدث هناك بعض المعارك، ولكن لم يحدث ذلك.

س: هل كنتم تتوقعون أن يصلكم الدعم من داخل دياربكر؟

ج: نعم، كنا نتوقع الدعم، وكان لنا أمل في أهالي المدينة.

س: يقال بأنّ جميل باشا ونقيب زادة كانا من الموالين لكم، أليس كذلك؟

ج: إنّني لا أعرف أحداً ولكن حسب ما سمعت أنّ أكرم جميل ونقيب زادة كانا من دعاة الشريعة، وقيل بأنّهما سيدعماني في حالة هجومي على المدينة، ولكني سمعت ذلك فقط، ولست أدري أكان ذلك صحيحاً أم لا.

س: ولكن أليس من الأجدر أن تتأكد من صحة معلومات، مهمة، كهذه؟

ج: كان هناك، في أثناء الثورة، الكثير من الأقاويل والأكاذيب التي لم يكن لها أيّ حد، أو رقيب. فمثلا قيل: جرى فتح موش، وجرى فتح بدليس، ولكن تبيّن فيما بعد عدم صحة هذه الإشاعات، فلم يكن عندنا بريد أو وسائل اتصال للتأكّد من هذه الشائعات.

س: إذا لم يكن كلّ ذلك صحيحاً، ولم يكن هناك داع لها، فكيف يمكن تبرير هدر هذه الدماء وإسالتها بين أبناء أمة محمد (ﷺ)؟

ج: ولكن حدث ذلك، حيث جرى الهجوم على دارهيني، وحدثت انتفاضة في خنيس أنا أعرف أنّ إسالة الدماء مسألة غير شرعية، ولكنّي حصلت على الفتوى.

س: من كان قائد الهجوم على مدينة العزيز؟

ج: سبق أن عيّنت الشيخ شريف على تلك الجبهة.

س: ومن القادة الآخرون؟

ج: أعطيت جبهة غازيك إلى الشيخ شريف أيضاً، وقلت بأنّ صلاحيتك تمتد إلى بالو، وعيّنت الشيخ عبد الله مليكانلي على كيرفاني وموش، وأمّرت الشيخ حسن علي كيفي على نفس المنطقة، ولكن لم يصل الأخير إلى ذلك المكان، وكان القواد من رؤساء العشائر ومختاري المنطقة. ولم يكن عندي جيش محترف، لذلك اضطررت إلى أن أكتب لهم باستمرار لتوجيههم.

س: لنفترض بأنّكم استطعتم فتح دياربكر، ماذا كنتم تنوون بعد ذلك؟

ج: كنّا نفكر بعد فتحنا لدياربكر أن نجتمع مع العلماء الأفاضل في المدينة، ونفاتح الحكومة بالمسائل المهمة، ومن ضمنها منع دور الدعارة ومحلات بيع الكحول وشربه، وإعادة فتح المدارس الدينية.

س: هل كان فتح دياربكر خطة تمهيدية لتأسيس كردستان مستقلة؟

ج: لم يكن تأسيس كردستان مستقلة، أو ما شابه ذلك، أمراً يخطر على بالنا، في أثناء الانتفاضة. كنّا نفكر فقط في تطبيق الشريعة، ولم أكن قابلاً برئاسة دولة كردية، ولا أنا بقادر عليها.

س: هناك بيان يتعلّق بهذا الموضوع، هل أنت مطّلع عليه؟

ج: لا أعرف بأمر هذا البيان، ولا أعلم من كتبه.

س: لنفرض بأنّكم استطعتم فتح دياربكر، وقمتم بالمفاوضات مع الحكومة، ولكنّ الأخيرة لم تلبّ مطالبكم، هل كنتم مستعدين للانسحاب من المدينة؟

ج: لم أفكر في هذا الاحتمال، ولكنّ الذي أعلمه أنّ أعضاء مجلس المبعوثان (البرلمان التركي) أناس متديّنون، لذلك كنّا نأمل الخير فيهم، وأنّهم سيوافقون على مطالبنا، ويعيدون فتح المدارس الدينية.

س: كيف تجرأتم على مواجهة قوات الجمهورية التركية المسلمة، وأنتم تعلمون أنّ هذه القوات قادرة على القضاء الكليّ عليكم؟

ج: لم يكن عندنا أيّ مؤشرات دقيقة، أو دلائل، على مدى قوة الجيش، إنّي لم أتوقع اندفاع كلّ هذه القوات لمحاربتنا وبهذه المعنويات.

س: رغم أنّك لم تتوقع هذا من قبل، ولكن هل أدركت ذلك الآن؟

ج: نعم.

س: سماحة الشيخ يرجى إعلامنا، إن كان العصيان نتيجة تخطيط مسبق أم كان حادثة عفوية؟

ج: لا أعرف من المسؤول عن ذلك.

س: كيف يمكن فصل جزء من الوطن عن الحكومة، ثم تفاتحها، وتأمرها بتلبية هذا الطلب أو ذاك. ألم يكن من الأحسن مراجعة الحكومة، حول تلك المطالب قبل العصيان؟

ج: أدركنا الوقت.

س: في حالة عدم تلبية طلبكم من قبل الحكومة، ماذا كنتم ستفعلون؟

ج: لو رفضت الحكومة مطالبنا كنّا، على الأقل، قد برّأنا ذمتنا، وجلسنا في بيوتنا؛ وإذا لم تلبّ الحكومة مطالبنا، كانت أمامنا فكرة الهجرة، وإذا لم تعط لنا الحكومة رخصة للهجرة، كنّا عل الأقل نتبرّأ من ذلك.

س: يتبيّن من الرسالة التي بعثتها إلى قرية ليجة، أنّه كان هناك بعض تدابير تقومون بها، من قبل الاستعداد للعصيان.

ج: لست كاتب تلك الرسالة، ولست مسؤولاً عن مضمونها.

س: قلتم إنّكم، بعد انطلاق حركة العصيان، أصبحتم قائداً لها، إذا لم يكن بينكم وبين المتمردين تخطيط مسبق، كيف يقبلك كلّ هؤلاء الناس قائداً رغم عدم معرفتهم بك؟

ج: حين وقعت حادثة بيران كنت في المنطقة، وكان ذلك من تقدير الله تعالى، لذلك أصبحت في قيادة الانتفاضة، ولكن لو كان هناك تدابير مسبقة للثورة، لما آلت إلى ما آلت إليه.

س: أيّة مسألة من الأحكام الشرعية، كانت موضوع اهتمامكم؟

ج: منع بيع المشروبات الكحولية، وتناولها.

س: أليس هناك حالياً قانون لمنع هذا؟

ج: كان هناك قانون، ولكن سمعنا أنّه ألغي، كما أوقف العمل بالحدود الخاصة بالقتل والزنا والردّة.

س: كيف كنت ترى الجنود الذين جاءوا إلى المنطقة لمواجهة العصيان؟ هل تعتقد أنّهم كفرة أم مسلمون؟

ج: إنّي رأيتهم وقابلتهم كمسلمين.

س: هناك حديث نبوي يقول: من سلّ سيفاً علينا فليس منّا، هل هذا صحيح؟

ج: نعم هناك حديث من هذا القبيل.

س: رجاء استمر في شرح الحديث.

ج: نعم، إنّ هذا الحديث موجود، ولكن إذا كان سلّ السيف من أجل الدين فذلك ممكن، وأنا لم أسلّ السيف من أجل حقوقي الخاصة. بل كنت أدافع عن الدين.

س: أليس هناك، من بين المسلمين من هو أكثر منك علماً وتديناً؟ وإذا كان هنالك من هو على هذه الصفة، فلماذا قمت وحدك بهذا الأمر؟

ج: نعم، هناك الكثير من العلماء، ولكن قد يكون ذلك بسبب خوفٍ أو أسباب أخرى لا أعلمها.

س: وإذا كان حقاً ما تدّعيه من انتهاكات للشريعة، لماذا لم يتحرك العلماء الآخرون؟

ج: هناك إجماع بين أهل الشريعة وطلابها، في هذا البلد، بصدد ضرورةإعادة تطبيق الشريعة، ولكن العلماء خائفون على حياتهم وأرزاقهم.

س: أنت، إذاً، أعلم العلماء وأجرأهم، أليس كذلك؟

ج: أنا لست أعلمهم، ولكن وقعت في المهالك.

س: متى بدأتم بمغادرة بالو إلى بيران؟

ج: في شهر كانون الأول سنة 1924.

س: هل من المعقول أن يغادر شخص مثلكم محل إقامته، في ذروة فصل الشتاء؟

ج: إنّ عدم وجود الأمكنة المناسبة، والأحوال الجوية السيئة، وقلّة المؤن دفعتنا إلى السير يومياً ثلاث ساعات فقط.

س: ألم يكن من الأفضل، أن تغادر في بداية فصل الربيع أو الصيف أو الخريف؟

ج: ننشغل في بداية فصل الصيف، بأمور الزوار والضيوف، وبأمر التجارة، ولكن عندنا متسع من الوقت في فصل الشتاء.

س: كم استغرق العصيان من الوقت؟

ج: استغرق أكثر من شهرين.

س: بدأتم إذاً مغادرة محل إقامتكم قبل شهرين من انطلاق العصيان وبحجة السياحة. ولكن بعد فترة وجيزة بدأت حركة العصيان. ألا ترى أنّ هناك نوعاً من الاتفاق بين وقت مغادرتكم، ووقت انطلاقة حركة العصيان؟ وحسب ما قلتم بأنّكم في الفترة التي سبقت العصيان كنتم تقرؤون جريدة (سبيل الرشاد)، ألا تعتقد أنّ ذلك أعطاكم نوعاً من الإلهام والتشجيع لبدء حركة العصيان؟

ج: نعم كانت الانتفاضة تخطر على بالي بعد قراءة أخبار الوضع، ولكن لم يكن عندي نيّة في البدء بها، في الوقت الذي بدأت، فقد حدثت تلقائياً.

س: هل زار ابنكم حلب؟

ج: نعم زار ابني حلب لأجل قضاء أمور تجارية، وذهب بعد ذلك إلى استنبول ليتسلّم الأموال التي بعثت له، بحوالة مالية من حلب.

س: غادر علي رضا حلب إلى استنبول، لعقد بعض الصفقات المالية هناك، والتقى أثناء الرحلة بعض الناس. ألم يبدأ العصيان نتيجة ما جرى عليه الاتفاق في تلك اللقاءات؟

ج: حين وصل ابني كنت خرجت من بالو، لذلك التقينا في شوشر، وكان ذلك قبل أربعين يوماً من بدء الثورة.

س: حين سئلتم لماذا هاجمت دياربكر، قلتم بأنّ المدينة المذكورة تقع على طريقكم، هل هذا ما قلتم؟

ج: أردنا دخول ولاية دياربكر، لكن الولاية قريبة منّا، ولوجود الكثير من مخازن العتاد فيها التي كنا نحتاج إليها.

س: حين فشلتم في الهجوم على دياربكر، واضطررتم إلى الانسحاب، ماذا كنتم تنوون فعله، بعد ذلك؟

ج: عدنا إلى جبق جور في دارهيني، وهناك استقبلنا أهالي المنطقة الذين جاءوا لزيارتنا، وطلبوا إليّ زيارة ليجة، ولكن لم يكن عندي نيّة الزيارة إلى هناك، وأعطيت الرخصة للكرد في العودة إلى ديارهم، وحين ذهبت إلى إيجل سمعت هناك خبر سقوط وان، وأرغني، في يد قوات المجاهدين.

س: كان هناك الكثير من الترك في أيجين، لماذا لم تشاركوهم في حركة العصيان؟

ج: ذهبت إلى أطراف إيجل في أرغني، وهناك طلبت إلى الترك أسوة بالكرد أن يدافعوا عن الشريعة.

س: هل شارك الترك في تلك المناطق معكم في العصيان؟

ج: كان هناك في أرغني شوقي أفندي وحميد أفندي وحاجي حسني.

س: هل كان هؤلاء أتراكاً أم من الكرد؟

ج: كانوا أتراكاً وشاركوا جيمعاً في الثورة.

س: هل سمعت بوجود أيّة جميعة قومية كردية؟

ج: لم أعلم بوجود أيّة جميعة.

س: ألم تعلم بجمعية تعالي الكردية؟

ج: لم أعلم أين هذه الجمعية، ومن هم القائمون بها.

س: من كنتم تطالبون تطبيق قوانين الشريعة؟

ج: إنّ قوانين الشريعة اليوم مهملة. نعم بدأ هذا الإهمال في فترة بعض السلاطين من قبل، ولكن لم يلغ أحد قوانين الشريعة، أليس من المطلوب أن نلبّي نداء الله سبحانه بتطبيق قوانينه المنبثقة من الشريعة، إنّ تنفيذ هذه المهمّة هي من مسؤولية الخلفاء.

س: ما المقصود بالخلفاء؟

ج: المقصود بالخلفاء الذين يقودون الأمة، ويقومون بتطبيق القوانين المنبثقة من الشريعة.

س: هل كنت تريد أن تصبح خليفة؟

ج: إنّ وجود الخليفة هو ضمانة أساسية لتطبيق قواعد الدين، وإنّ المسألة مطلوبة شرعاً.

س: قلتم بأنّكم لا تعرفون شيئاً عن جمعية التعالي والترقي الكردية، ولكن قل لنا ما الأمور التي ناقشتموها مع يوسف ضياء بيك البدليسي، حين قام الأخير بزيارتكم؟

ج: نعم، أعرف يوسف ضياء بيك الذي زارني وكانت تلك الزيارة بطلب حيدر أفندي البدليسي، أستاذي السابق، وحيث قال لي إنّ يوسف ضياء بيك والسيد رشيد موشلي يريدان زيارتكم، ثم قال لي أيضاً إنّ السيد يوسف ضياء بيك هو عضو مجلس (المبعوثان) من بدليس، فرحبت بهما. مكث الضيفان عندنا ساعات قليلة وغادرا المكان بعد تناول الشاي. وبعد فترة قصيرة كانت بالتحديد في أيام الربيع، جاء يوسف ضياء بيك، مرة أخرى، إلى خنيس وزارني، وهناك أخبرني أنّه مع مجموعة من رفاقه، يعملون لتأسيس دولة كردية مستقلة؛ قلت أنّ الأمر مستحيل، ولم أقبل بالأمر.

س: كيف كنت تعرف أنّ الحكومة لا تراعي قوانين الشريعة؟

ج: قرأت كتباً لأحمد، وعبد الله جودت، الذي لا أعرف اسمه بالضبط، ولكن هذا الشخص كتب في جريدة سبيل الرشاد أنّ السيد موسى عليه السلام كان متكبراً، وأنّ عيسى (عليه السلام) كان مشهوراً، ومحمداً (ﷺ) أميناً؛ وأنّ كلاً منهم جاء بدين؛ هل المقصود بهذا أنّ كل عقلاء الأمّة لا يستطيعون أن يأتوا بدين جديد. إنّ قراءة هذا النوع من المقالات كانت تثير استيائي كثيراً، وكما نشرت جريدة سبيل الرشاد خبراً مفاده أنّ كليج زادة حقي مراسيل أزمير، في الجريدة المذكورة، قد كتب مقالاً أطال فيه اللسان على رسول الله (ﷺ)

وأنّ حسن فهمي، وهو مفتٍ اشتكى عليه في المحكمة، ولكن المحكمة برأت المفتري على رسول الله (ﷺ)، وعاقبت المفتي بغرامة مالية مقدارها مئة ليرة نقداً، وأخيراً برأت محكمة التمييز ذمته من الغرامة. ومثال آخر هو أنّ الحكومة حوّلت دار المشيخة إلى مدرسة للفتيات. وأنّ الطالبات، في هذه المدرسة، يتعلّمن العزف على البيانو والكمان. إنّ قراءة هذه الأمور كانت تقلقني كثيراً. كما سمعت أيضاً أنّ إلياس سامي مبعوث موش في مجلس (المبعوثان) واثنين من زملائه كتبوا كتاباً بعنوان «الردّة»؛ وفيه الكثير من الإساءة إلى خلفاء رسول الله. ولم يخل أيّ عدد من جريدة (سبيل الرشاد) من أخبار هذه المقالات المشينة التي كانت تثير غضبي. أضف إلى ذلك أنّ ما لمسته في صحافة استنبول، من مدح ودعوة إلى الماسونية والعلمانية، أثار غيرتي على الإسلام، ولم أرَ من السهولة السكوت على ذلك.

obeikandl.com